سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (77) | 10 آذار 2013

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

وستولد الحياة فينا

السوريون يصلون إلى مليون لاجئ في الدول المجاورة نصفهم من الأطفال

الأمم المتحدة تقف عاجزةً أمام تأمين المساعدات الإنسانية المطلوبة

"الوضع داخل سوريا لا يقل سوءًا حيث يشتد القتال، وأكثر من أربعة ملايين شخص نصفهم على الأقل من الأطفال، بحاجة لمساعدة إنسانية عاجلة" ديفد بول - الأمم المتحدة

أكد مسؤول أممي أن العنف المتزايد والفجوة الكبيرة في تمويل المساعدات يعترضان سبيل تخفيف معاناة الأطفال السوريين الذي يهربون من الخطر المُحدق بهم كل يوم ويعانون من تبعات ما يجري، وأشار إلى أن عدد اللاجئين الفارين من العنف هناك بلغ مليوناً الآن بعد أن كان توقع مفوضية شؤون اللاجئين أنهم قد يصلون إلى هذا العدد في حزيران، أي بعد ثلاثة أشهر على أقل تقدير.

والمُلفت للنظر حول هذه الأرقام ليس العدد فقط، بل الوتيرة العاليةللنزوح بشكل مضطرد، ففي كانون الأول من العام الفائت كانت الأمم المتحدة تتوقع بلوغ رقم المليون في حزيران القادم، فيما أعلنت وكالة الأمم المتحدة للاجئين في 27 شباط المنصرم أنه كان هناك 953.310 لاجئاً سوريا مسجلاً بسجلات اللجوء أو ينتظرون التسجيل. وأوضحت أنه، وبوصول معدّل 7000 لاجئ جديد من سوريا كل يوم، سيتجاوز العدد رقم المليون بسهولة يوم 8 آذار الجاري.

وقال المدير التنفيذي لصندوق الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) ديفد بول: "إن الوصول لهذا العدد بعد عامين من بداية الصراع مثال صارخ على هذه الأزمة التي تجلب الخوف والألم والمعاناة على نطاق واسع".

وأضاف بول أن الوضع داخل سوريا لا يقل سوءاً عنه في المخيمات، إذ أن القتال يشتد وأكثر من أربعة ملايين شخص، نصفهم من الأطفال، بحاجة إلى مساعدة إنسانية عاجلة. وفي الدول المجاورة (الأردن ولبنان وتركيا والعراق ومصر) تكافح الحكومات والمنظمات الإنسانية، بما فيها اليونيسيف، لتلبية الاحتياجات الأكثر أهمية للاجئين.

كما بدا لـ بول بعد زيارته لمخيم الزعتري المكتظ بالأردن بوضوح مدى المعاناة التي يتعين على الأطفال مكابدتها من العنف الذي يشهدونه والمآسي الناجمة عنه ومعاناة الكثيرين من حالات السعال والالتهابات الرئوية والعدوى التنفسية.

وأشار إلى أنه مع اقتراب هذه الأزمة من عامها الثالث، تزايد توافد اللاجئين عبر الحدود، فصار العدد اليومي أكثر من سبعة آلاف يسافرون تحت جنح الظلام.

تفاقمُ الأزمة وعجزٌ في الحلول وإمكانات الإغاثة

"إذا لم تُسد ثغرة التمويل المقدرة بنحو 80٪ في القريب العاجل فإن اليونيسيف سوف تضطر لتقليصتدخلات الإغاثة"

ويرى المسؤول الأممي أن حجم الأزمة التي يواجهها أطفال سوريا تتطلب استجابة ضخمة من المنظمات الإنسانية الدولية، وأشار إلى الجهد الكبير الذي تبذله اليونيسيف لتأمين المواد الغذائية والخدمات لأكثر من عشرة ملايين شخص في سوريا.

ولكنهم رغم هذه الجهود الجبارة يواجهون عقبتين خطيرتين، إذا لم تعالجا على وجه السرعة فستزيد المعاناة ويستمر تدفق الأطفال اللاجئين البائسين.العقبة الأولى هي تزايد العنف في سوريا، حيث قتل سبعون طفلاً في حوادث متفرقة الشهر الماضي بسبب الصواريخ التي ضربت المناطق السكنية في حلب، ومات عشرون آخرون من انفجار قنبلة في مدرسة بدمشق. والعقبة الثانية هي النقص المزمن في التمويل الذي يهدد بترك الكثير من الأطفال السوريين بدون توفير المساعدة الضرورية.

ويعتقد المسؤول أنه إذا لم تُسد ثغرة التمويل المقدرة بنحو 80٪ في القريب العاجل فإن اليونيسيف سوف تضطر لتقليص تدخلات الإغاثة. وعلى سبيل المثال، ستدوم إمدادات الكلور لمياه الشرب النظيفة في سوريا لشهر واحد فقط ما لم تتوافر الأموال لشراء المزيد.

وبرنامج التطعيم المزمع لشهر نيسان، لكي يصل إلى مليوني شخص، قد لا يصل إلى أولئك الذين هم بحاجة إليه. وبدون هذه الإمدادات الحيوية يمكن أن يتعرض ملايين الأطفال لخطر الأمراض القاتلة.

ونبه المسؤول إلى أنه عقب أي كارثة مفاجئة كزلزال أو تسونامي يكون رد المجتمع الدولي سريعا وفعالاً، ويُحشد لمثل هذه الكوارث السخاء الشعبي وتتدفق الأموال وتُتخذ القرارات السياسية الرفيعة لضمان وصول الإغاثة إلى المحتاجين بأسرع وقت ممكن. بينما الوضع في سوريا ليس كارثة طبيعية بل هو أزمة، ومعاناة الأطفال هناك ليست أقل شدة، لكن إنقاذ الأرواح يتطلب عملاً فورياً.

وعبّرالمنسق الإقليمي لوكالة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بانوس مومتزيس في كانون الثاني المنصرم عن قلقه قائلاً: "هذه أكثر الأزمات الإنسانية سرعة في تفاقمها، وقد تفاقمت بشكل أسرع...أسرع من أكثر توقعاتنا تشاؤماً. إنها مأساة درامية متفجرة وخطيرة جداً".

وحسب المفوضيةالعليا للاجئين التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، فإنه يوجد نحو 200 ألف لاجئ مسجل في لبنان وأكثر من 153 ألفا في تركيا و69 ألفا في العراق و13 ألفا في مصر وأكثر من خمسة آلاف في شمال أفريقيا. أما الأردن فلديها 176,600 لاجئ سوري، وتشير التقديرات إلى أنه ما زال باستطاعته استقبال حوالي 280 ألف لاجئ جديد.

وقال المتحدث باسم المفوضية أدريان إدواردز إن هذه الزيادة المرتفعة في أعداد اللاجئين تزيد الضغط على مخيمات اللجوء التي يعاني سكانها من البرد والأمراض، رغم الاحتياطات التي اتخذت لمواجهة فصل الشتاء.

وأضاف أن الأسبوع الأول من عام 2013 شهد "ارتفاعا كبيرا في عدد الوافدين إلى الأردن الذي يعبر حدوده يوميا 1,100 لاجئ سوري تقريبا، يكونون عادة حفاة، ويرتدون ملابس ملطخة بأوحال الثلوج، ويحتاجون مساعدات عاجلة.

ويُذكر أن ثلث مجموع اللاجئين السوريين المسجلين غادروا بلادهم منذ كانون الثاني فقط، وحذرت الأمم المتحدة في نشرة لها من أن هذه الأعداد قد ضغطت بشدة على مواردها المخصصة للاجئين السوريين وأدت إلى تدهور الأوضاع كثيراً في بعض المخيمات.

اليونيسيف: أضرار جسيمة لحقت بالعديد من المدارس في سوريا ومعدلات الالتزام بالحضور في تراجع

يهدد العنف المتصاعد والمستمر فرص التعليم لدى مئات الآلاف من الأطفال السوريين بعد مرور حوالي عامين على الثورة حسب تقييم لليونيسيف.

فقد تغيّب العديد من الأطفال عن الدراسة لمدة تكاد تصل إلى عامين في المدن التي يشتد فيها العنف بسبب تعرُّض ذُمس المدارس في سوريا لأضرار مادية مباشرة أو استخدامها كملاجئ للعائلات النازحة.

يقول السيد يوسف عبدالجليل، ممثل اليونيسيف في سوريا: "إن نظام التعليم في سوريا يرزح تحت وطأة العنف الدائر، فبعد أن كانت سوريا تفخر بجودة مدارسها، بدأت الآن تفقد المكاسب التي حققتها على مدى السنوات."

ويشير تقييم اليونيسيف الذي أجري في كانون الأول2012، إلى تردد الكثير من الأهالي في إرسال أطفالهم إلى المدارس، خوفاً على سلامتهم خاصة في مدارس إدلب وحلب ودرعا حيث اشتد القتال بصفة خاصة، ونتيجة لذلك يتغيب الطلبة عن الدراسة، وبعضهم يحضر مرتين في الأسبوع فقط.

وفي المقابل، تكتظ الفصول الدراسية في المناطق التي تأوي أعداداً كبيرة من الأسر النازحة لتضم 100 طالب أحياناً. ويقول السيد عبدالجليل: "إن الحضور إلى المدرسة يشعر الأطفال بالأمان ويجدد لدى الوالدين الأمل في مستقبل أبنائهم، لهذا يركّز العديد من أولياء الأمور على التعليم كأولوية قصوى بالنسبة لهم."

ومن بين النتائج الأخرى للتقييم:

- تعرضت ما لا يقل عن 2,400 مدرسة للضرر الجزئي أو الكلي، منها 772 مدرسة في إدلب (50٪ من المجموع)، و 300 في حلب، و300 في درعا.
- تستخدم ما يزيد على 1,500 مدرسة لإيواء النازحين.
- قتل ما يزيد على 110 معلم وموظف مدرسي، والعديد منهم لم يعد يحضر إلى العمل. ففي إدلب، مثلاً، انخفضت نسبة حضور المعلمين إلى 55٪.
- انخفض معدل حضور الطلبة في حلب إلى 6٪.
- استخدمت بعض المدارس من قبل القوات المسلحة.

وتعمل اليونيسيف على تلبية احتياجات الأطفال التعليمية في سوريا، وعلى دعم ما يزيد على 170 نادي مدرسي في حمص ودرعا وريف دمشق وطرطوس واللاذقية وحماة والقنيطرة. وتمكن هذه الأندية 40,000 طفل من تلقي التعليم العلاجي الضروري والمشاركة في أنشطة ترفيهية. كما تقدم اليونيسيف اللوازم التدريسية والتعليمية وتساهم في إعادة تأهيل المدارس المتضررة.

ومن الجدير بالذكر أن اليونيسيف تحتاج إلى مليون دولار لضمان استمرار الأندية في عملها حتى نهاية أيار. وسيكون نقص التمويل سبباً أساسياً في عدم توفير المزيد من الفصول الدراسية المجهزة، والحد من عمليات إعادة تأهيل الأماكن التعليمية وتقليل اللوازم التعليمية.

وعموماً، فإن اليونيسيف بحاجة إلى 20 مليون دولار لمواصلة برامج التعليم في سوريا خلال الأشهر الستة الأولى من العام الحالي، لم تتلق منها سوى 3 مليون دولار حتى الآن.

أوجاع وطن

عندما عبرت الحياة

■ سعاد يوسف

«طريق الموت» هو ذلك المتحلق الجنوبي الذي يلتف حول دمشق من غربها إلى شرقها مروراً بالجنوب، مشكلاً النافذة التي تتصل من خلالها مع المدن السورية الأخرى، فعبوره قد يكلفك حياتك بكل سهولة أو يوقعك جريحا، وعلى هذا الطريق فقدت حياة حياتها لتلفظ أنفاسها الأخيرة.

حياة، مُدرسةُ تجاوزت الخامسة والثلاثين من عمرها، تعيش مع والدها ذي الأعوام الثمانين وأختها التي تصغرها سنا في منزلهم الواقع على أطراف حي القابون، قرب المنطقة التي يتقاطع فيها المتحلق الجنوبي مع أوتوستراد دمشق-حمص الدولي، والتي تشهد أعنف الاشتباكات والمواجهات بين الجيش الحر وجيش النظام.

والد حياة رفض الخروج من المنزل رغم خطورة الوضع التي تزداد يوما بعد يوم. فالقذائف بدأت تنهال قريباً جدا منهم، ومنذ حوالي أسبوع ألقت الطائرة الحربية قنابل حقدها وغضبها على باب منزلهم. اهتز البيت وسُمع دوي انفجار هائل، فما كان من الأب إلا أن قال لها: «هناك من يطرق الباب. افتحي له يا ابنتي» فربما لم تسمح له أعوامه الثمانين بتخيل أن يصل حقد الإنسان هذا الحد.

«إنه فعلاً لا يستوعب أننا نعيش حرباً وأن علينا الخروج من المنزل. حاولنا إقناعه بشتى الوسائل إلا أنه رفض، وأنا لا أستطيع أن أعارض رغبته. الموت أصبح قريباً جداً وأنا أريد أن أموت وأبي راض عني، لذلك قررت البقاء معه حتى النهاية». هذا ما كانت تقوله لصديقاتها في حي القابون.

كانت تذهب كل يوم إلى هناك سيراً على الأقدام، تعبر الحد الفاصل بين الموت والحياة حيث يقبع قناص لا أحد يعلم متى سيجعله مزاجه يطلق النار على حياة، أو على غيرها، وتذهب كي تدرس أطفالاً ما عاد بمقدورهم الذهاب إلى المدرسة. الكثير من أطفال حيها فقدوا مدارسهم، أو باتوا يخافون الذهاب إلى تلك المدارس القريبة من القناص، فأثرت حياة أن تتحدى القناص وأن تذهب هي إليهم كي تساعدهم في الدراسة، ومع مرور الوقت تحول هؤلاء الأطفال إلى مصدر سعادتها وباتت تنسى معهم حزنها وتعبها.

في الأسبوع الأخير، وبعد ازدياد حالات الوفاة بسبب القناص بشكل كبير، كان أحد الضحايا هو شقيق حياة، طلب أصدقاؤها منها الانتقال إلى مكان أكثر أماناً، أو التوقف عن المجيء، إلا أنها رفضت كلا الحلين، وأصرت على الاستمرار في الخروج من منزلها. وفي يوم الأربعاء السادس من آذار، وهي عائدة إلى بيتها بعد يوم من المرح والضحك مع أطفالها، لم تدرك أن القناص اتخذ قراره اليوم، ولم يحتج لأكثر من رصاصة واحدة استقرت في صدرها. لتصبح «حياة» إسماً لمدرسة زرعت في أطفالها فرحة رغم الموت المحيط.

استلقت حياة على طريق الموت، تنزف لساعات دون أن يتمكن أحد من إنقاذها أو سحب الجثة، فلم يكتف القناص بقتلها بل أراد حصار جسدها في نزاعه الأخير، مانعاً أية محاولة للاقتراب، ومع غروب الشمس تمكن بعض شباب الحي من الوصول إليها وسحب جثتها ليتم دفنها في المقبرة التي خصصها الأهالي للشهداء.

هو مشهد أعاد إلى ذاكرتي حكايةً عن أهالي سراياي□و المحاصرة الذين اعتادوا استخدام وسائل متعددة للتحايل على القناص، وكانوا يتداولون نصيحة للعابرين في شوارع يسيطر عليها قناصون: إياك ان تكون ثالث العابرين في شارع يقطعه قناص. فالقناص يشاهد العابر الأول، ويصوّب على الثاني، ويصيب الثالث. وربما كانت حياة ثالث العابرين في ذلك اليوم.

نشرت في المدن 8 آذار 2013

مبعدون عن طريق القذف «على مسؤوليتهم !

زهور غادرت المخيم الصحراوي لأنها لم تجد أدنى سُبل العيش فيه

زهور أم لطفلين والثالث على وشك اللجوء! وكما يحمل اسمها دلالة الحياة، لم تطق قحط المخيم وهي الحامل بشهرها الثامن.

لم تتمكن زهور من الصمود أكثر من 20 يوما لاجئة في مخيم الزعتري للاجئين السوريين على الحدود الأردنية السورية، حيث فضلت كغيرها من مئات السوريين العودة إلى سوريا رغم ما تشهده البلاد من أحداث على البقاء في هذا المخيم الصحراوي كما وصفته.

في ساحة المخيم الرئيسة تجمع العشرات من السوريين أغلبهم من العائلات، كانوا ينتظرون مناداتهم من قبل شرطي أردني يقف على بوابة حافلة خصصت لمن قدموا طلبات ووقعوا على رغبتهم بالعودة لسوريا على مسؤوليتهم.

كانت زهور تجلس على أمتعتها مع طفليها الصغيرين أمام حافلة تنقل الراغبين بالعودة للحدود غير الرسمية، وأكدت أن السببين وراء قرارها الرجوع إلى قريتها الحراك بدرعا هما «الجوع والبرد»: «في الليل والصباح البرد حورة (شديد).. أطفالي مرضوا ويعانون من المراجعة والإسهال وتم علاجهم بالمحاليل الطبية.. الوضع هنا لا يحتمل».

وعن الجوع تقول زهور «لا يعطوننا إلا معلبات، كيف سأطعم أطفالي معلبات؟ عندما طلبنا استلام حليب للأطفال قالوا لنا لا يوجد وعلينا أن نشتريه.. ما معنا مصاري».

في أحد شوارع المخيم الذي يكتظ بنحو 47 ألف لاجئ سوري غالبيتهم يعيشون في خيام، فضلا عن نسبة تعيش في بيوت جاهزة بعضها من الصفيح المقوى (الكرافانات) قدمتها لهم السعودية، والأخرى من الصفيح الخفيف وهو من هيئة الإغاثة النرويجية المسؤولة عن برنامج الشتاء في المخيم.

أم أيمن - وهي سيدة سورية تجاوز عمرها الستين - حضرت للمخيم منذ ثلاثة أشهر مع 16 من أفراد عائلتها، قالت إنها قدمت أربع طلبات للعودة إلى سوريا ولم يجب عليها.وذكرت أن سبب عدم إجابة طلبها - حسبما أبلغها المسؤولون في المخيم - هو أن الطريق الذي طلبت العودة منه، وهو طريق الطيبة بدرعا، «غير آمن».

وتابعت «جئنا قبل ثلاثة أشهر ونفدت أموالنا والأكل الذي يوزع علينا لا يكفي، نعاني من الجوع.. لا نستطيع شراء كيلو بندورة، وفي اليوم الواحد يعطون للفرد ثلاث خبزات صغيرة وأحيانا كثيرة لا نأخذها نظراً للطابور الطويل».

كما تحدثت بألم عن البرد الذي «ينخر عظام الأطفال»، وأضافت «في الليل نضطر لأن نزيل الأغطية عنا ونضعها على أولاد بناتي وأولادي». وتابعت «أيضا أولادي وبناتي يخافون العودة الآن بعد أن بدأت الأنباء تأتي عن احتمال استخدام الأسلحة الكيماوية».

وحسب مسؤول بالهيئة الخيرية الأردنية المسؤولة عن إدارة المخيم فإن المطلوب ممن يرغبون بالعودة إلى سوريا أن يقدموا طلبات لمحافظ المفرق يوافق عليها وتنظم عملية العبور حسب وضع الحدود.

ويُعرف من يرغبون بالعودة بهذه الطريقة بـ«المبعدين عن طريق القذف»، أي عبر الحدود غير الرسمية، غير أن لاجئين وموظفاً بإدارة المخيم أكدوا أن هناك تنسيقا مسبقا بين القوات الأردنية وقوى المعارضة السورية لتأمين دخول آمن للراغبين في العودة.

تقرير إعلامية أيام الحرية

الأسبوع الأول من آذار 2013

أيام الحرّية

إعداد: نسيبة هلال

«وهل هناك أعجب من أن يظهر قائد لا يدخل معركة إلا خسرها، ولا يرسم خطة إلا أفسدها، ويحكم بالمعتقلات والسجون والتعذيب ثم ينهزم هزيمة ساحقة ماحقة تضع أعداءه في صميم بلاده وتسلبها مقدساتها ثو يقال له بطل القرن، وعندما مات شيعت جنازته بضعة ملايين تجهش بالبكاء.. هذه الكلمات، من كتاب «كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الإستبداد» الذي اختارته «حركة وعي» في حملتها «كتاب بثورة» من تأليف «هشام علي حافظ» و«جودت سعيد» و«خالص جلبي».

قامت «أيام الحرية» بالتعاون مع «منظمة الحراك السلمي السوري» بإصدار منشور بعنوان «حقوق الأسرى» ويتضمن الواجبات الأساسية في معاملة الأسرى مأخوذة من توجيهات الدين الإسلامي، ومن هذه الحقوق: حق المعاملة الحسنة، وحق الطعام والكساء وحق الحرية الدينية.

و حين نتعلم من تجارب بقية الشعوب في ثوراتها، نوفر على أنفسنا ارتكاب الأخطاء والكثير من الخسائر، فثورة تشيلي استمرت 16 سنة، كان حصيلتها ثلاثون ألف قتيل، والآلاف الأخرى من المعتقلين والمعذبين والمغتصبين، وحين استلمت الحكم حكومة مدنية، شكلت «اللجنة الوطنية للحقيقة والمصالحة» التي قدمت بعد 9 شهور تقريرا تضمن توثيق حالات القتل والاختفاء وانتهاكات حقوق الإنسان، ووجهت التهم وتمت محاكمة المسؤولين. هذه المعلومات طرحتها «أيام الحرية» في منشورها الرابع ضمن حملة «تجارب الشعوب والعدالة».

كما صدر العدد الأول من مجلة «طيارة ورق» وهي مجلة نصف شهرية جديدة مخصصة للأطفال من عمر 7 وحتى 14 سنة، تصدرها «مجموعة الدعم النفسي وحماية الأطفال» بالتعاون مع جريدة «عنب بلدي» و«منظمة الحراك السلمي السوري».

و ضمن منشورات «أيام الحرية» في مجموعتها «هذه حقوقي» تحدثت في منشورها عن المادة الأولى من حقوق الإنسان: يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق، والاستبداد والظلم ليس له لون أو مذهب فهو مرفوض من اي جهة يمارس.

و لتوثيق جرائم النظام، هناك العديد من الأمور التي يجب الالتزام بها، كي يصبح التوثيق احترافيا، ويكون من الأدلة المقبولة أثناء المحاكمات، لذلك ذكرت «أيام الحرية» شروط التوثيق الناجح في منشورها بعنوان «كيفية توثيق جرائم النظام».

كما أصدرت منشورا بالتعاون مع جريدة سوريتنا وجمعية حماية الآثار السورية يتحدث عن متحف حمص الأثري وكيف صار نهبة للعساكر وانتشرت قطعه الأثرية الثمينة في الشوارع المحيطة به على قارعة الطريق.

هذا المنشور هو ضمن سلسلة من المناشير عن الآثار والمتاحف السورية وما تتعرض له من انتهاكات منذ بداية الثورة السورية ولغاية الآن، وهو مأخوذ من ملف خاص صدر في جريدة سوريتنا من إعداد فريق حماية الآثار السورية.

و بمناسبة يوم المرأة العالمي، تحية من الأعماق للمرأة السورية التي كانت حاضرة دوما في كل لحظة في الثورة السورية، حيث شاركت في كل النشاطات الثورية بكثافة، وكانت بالإضافة إلى ذلك داعمة للرجل الثائر، كانت أم الشهيد، وابنة المعتقل، وأخت الجريح المصاب، كانت وما زالت منارة للثورة.

شاركونا صنع الحضارة، بالثورة على ما في نفوسنا من أفكار أنتجت الطغيان.

ثورتنا على أفكارنا أولا، ثورتنا على الاستبداد في عقولنا وقلوبنا، وفي كل مكان آخر، فشاركونا الثورة نحو مجتمع يضمن حقوق الجميع.

لنشارك بالثورة، و لنغرس كل ما نستطيع من الفسائل لنبني الوطن.

الثورة السورية ثورة تاريخية عظيمة - مع أيام الحرية شاركنا الثورة

مات بعمر الواحدة والعشرين: مقاتل وجهادي بريطانيا

تحدثت صحيفة الصانداي تايمز يوم الأحد عن مقتل أحد المسلحين البريطانيين في سوريا أثناء مشاركته في القتال المسلح ضد نظام بشار الأسد.

ابراهيم المزواجي كان معروفاً بين أصدقائه بحبه للانغماس في الأعمال والألعاب الخطرة. وقد أمضى عطلته الأخيرة التي أودت به نحو نهايته، يقاتل إلى جانب الجهاديين الإسلاميين في سوريا.

تتحدث الصحيفة عن المزواجي بقولها أنه ولد شمال غرب لندن ودرس في جامعة هيرتفوردشاير في هاتفيلد، وقد قتل في سوريا قبل أن يتم عامه الـ22 وبذلك يكون أول مقاتل بريطاني يُكشف عن هويته من ضمن الأجانب الذين استشهدوا وهم يقاتلون في سوريا.

كذلك تشير الصحيفة إلى أن المزواجي كان معروفاً بلقب "أبي الفداء" وهو "واحد من نحو 80 بريطانياً يعتقد أنهم سافروا إلى سوريا في العامين الماضيين للمشاركة في القتال ضد الحكومة السورية. إن وجود هذا العدد الكبير من الشباب البريطانيين في منطقة حرب مشتعلة مثل سوريا شكل اهتماماً وتنبهاً للسلطات البريطانية".

http://www.thesundaytimes.co.uk/sto/news/uk_news/National/Terrorism/article1224370.ece

جهاديون من أصل هندي يقاتلون في سوريا ضد نظام الأسد

تم التأكد من وجود جهاديين من أصل هندي يقاتلون إلى جانب الثوار في الحرب العنيفة الدائرة في سوريا. "هذا السبب الذي يدفعنا للاعتقاد بأنه على الهند أن تلعب دوراً أكثر فعالية، لأن هذا الصراع الممتد لن يترك أحداً دون أن يؤثر به"، هذا ما قالته بثينة شعبان، المستشارة السياسية للرئيس بشار الأسد، في حديث مع "TOI". وأشارت لمبعوث الأمم المتحدة الأخضر الابراهيمي بقولها أنه يوجد مقاتلون من حوالي 38 جنسية أجنبية اليوم في سوريا.

وتوجد شعبان الآن في الهند كمبعوثة خاصة للأسد، لتنقل رسالة منه لرئيس الوزراء الهندي مانموهان سينغ، حيث أن سوريا تأمل من الهند أن تأخذ دوراً قيادياً في مؤتمر البريكس القادم، وأن "تدعم" روسيا والصين في موقفهما من الصراع. كلا البلدين صوتا بالفيتو ضد قرار مجلس الأمن المعارض للنظام السوري.

وتقول شعبان أن العديد من المقاتلين الهنود الموجودون الآن في سوريا جاؤوا من المملكة المتحدة. وتضيف شعبان أن الرواية الغربية لما يحدث في سوريا خاطئة، وأن الحرب الدائرة هناك الآن تغذيها كل من تركيا وقطر بمساعدة من المملكة العربية السعودية.

كما تؤكد شعبان بأنهم لا يريدون بأن يتحول ذلك إلى صراع طائفي. وتضيف أنها أبلغت الوزير سلمان خورشيد بأنه على الهند أن تكون حذرة من البلدان التي تقوم بإنشاء مساجد هنا إذ أن دمشق تعيش الآن نتائج أفعال كهذه.

http://timesofindia.indiatimes.com/world/middle-east/Indian-origin-jihadis-fighting-in-Syria-against-Assad-regime/articleshow/18868094.cms

لماذا لا يفعل العالم شيئاً؟
قنابل عنقودية يضربها الجيش السوري على حلب..

دوناتيلا روفيرا. مسؤولة كوارث رفيعة المستوى في منظمة العفو الدولية

في مشفى ميداني، لن أقوم بذكر اسمه لضرورات أمنية، مع التذكير بأن الكثير من المشافي الميدانية تم قصفها فيما سبق، في ذلك المشفى كان عبد الحق، ولد له من العمر 7 سنين، يرتجف كورقة خريف ويئن من الألم في بطنه وقدميه.

قام أقرباء عبد الحق بجمع أشلاء أخيه نزار، 3 سنين، من أجل دفنها. أما أخيه الثالث، صبحي، 8 سنين، فقد كان مفقوداً حتى تلك اللحظة.

في نفس الغرفة، كان مصطفى (6 سنين) مستلقياً في سرير، تغطي رأسه وعنقه وأكتافه جروح جراء شظايا قنبلة أصابته. كان وحيداً في انتظار أن يأتي أحد من عائلته للبحث عنه. أخبرني مصطفى أنه كان في زيارة لأقربائه عندما حدثت الغارة الجوية، وأفاد أحد الجيران بأن أقرباء مصطفى تأذوا بشكل كبير جراء الغارة وهو لا يعرف إن كانوا لا يزالون على قيد الحياة.

وفي غرفة أخرى، رأينا فهد (9 سنين) وقد أصيب بجروح في قدمه اليسرى بسبب الشظايا، وكان لا يفتأ يردد: "بابا، أنا لا أريد أن أموت. أريد أن أعود إلى المنزل". إلا أن فهد يعتبر محظوظاً إذ أن جروحه كانت طفيفة مقارنة بالأطفال الآخرين الذين رأيتهم.

هؤلاء الأطفال هم بعض ضحايا الهجوم بالقنابل العنقودية الذي حدث صباح الجمعة 1 آذار واستهدف تجمعاً سكانياً مكتظاً في حلب. قُتل في ذلك الهجوم 19 شخصاً على الأقل وجرح أكثر من 60، ولن نعرف العدد النهائي للضحايا قبل مرور عدة أيام، وذلك بسبب نزوح العديد من العائلات من المنطقة خوفاً من حدوث هجمات مشابهة. تم إخلاء المكان من الجرحى الأكثر خطورة ونقلوا إلى مشافٍ في تركيا، أما البقية فتتم معالجتهم في عدة مشافٍ ميدانية حول المدينة.

عندما حدث الهجوم، وكانت حينها الساعة حوالي الحادية عشرة والنصف صباحاً، كان الكثير من الأطفال والذين وقعوا ضحايا الهجوم يلعبون في الأزقة والحدائق في ذلك المجمع السكني. وصلتُ إلى حلب بعد ذلك بفترة قصيرة وذهبت إلى تلك المنطقة، مساكن هنانو، والتي تقع إلى الشرق من مركز المدينة. كان الوضع أسوأ مما تحدثت عنه التقارير المبدئية.

قام سلاح الجو السوري بإلقاء تسع قنابل عنقودية روسية الصنع – كل واحدة منها تحمل 150 قنبلة – وسط مجمع سكني كبير. عثرت على العديد منها هناك: واحدة على بعد ثمانية أمتار من باب أحد الأبنية، ثلاث في حديقة صغيرة بين الأبنية، واحدة على أحد الأسطح، اثنتان في فسحة فارغة صغيرة بين الأبنية، واحدة في منتصف أحد الأزقة، وواحدة في حديقة أخرى.

كما عثرت أيضاً على قنابل لم تنفجر في جميع أنحاء المكان: على أسطح الأبنية، على الأرصفة وفي الأزقة والحدائق بين الأبنية. قام مقاتلو المعارضة المسلحة الذين يسيطرون على المنطقة سريعاً بتجميع القنابل الغير منفرة ووضعها في أكياس. كانت جدران الأبنية مليئة بالثقوب الصغيرة بسبب الشظايا، وكنت ترى هنا وهناك فجوات في الجدران بسبب اختراق تلك القنابل المميتة للجدران، منفجرة داخل منازل السكان.

نورا، امرأة لها من العمر عشرون عاماً رأيتها في أحد المشافي، أخبرتني أنها أصيبت داخل منزلها. أختها التي كانت إلى جانبها سألتني: "لماذا لا يفعل العالم شيئاً، فيما نستمر نحن بالتحول إلى أشلاء داخل منازلنا كل يوم؟".. لم يكن لدي جواب.

أياً يكن ذاك الذي يأمر بشن تلك الهجمات القاسية والعشوائية – ومن بينها القنابل العنقودية المحرمة دولياً -، وكذلك الطيارون الذين يقومون بإلقاء تلك القنابل، هم يقومون بذلك وهم يعلمون تماماً أنهم يقتلون ويؤذون ويشوهون أطفالاً ومدنيين لا دخل لهم في الصراع الدائر.

عليهم أيضاً أن يعلموا أنهم سوف يحاسبون يوماً ما على ارتكابهم جرائم الحرب هذه.

http://livewire.amnesty.org/201302/03//why-is-the-world-doing-nothing-cluster-bomb-attack-by-the-syrian-army-in-aleppo/

عشرون شخصاً يعيشون على مساحة عشرين متراً.. وبشرى، اللاجئة رقم مليون، يحزّ في نفسها ويؤلمها هذا الرقم

وصلت بشرى (19 عاما) وطفلاها حنين وسلطان، مع عشرين فردا من عائلة زوجها من حمصإلى مدينة طرابلس بشمال لبنان لتقيم في منزل شديد التواضع لا تتعدى مساحته عشرين متراً مربعابمنطقة تعرف باسم "حي التنك"، حيث سقوف المنازل من الحديد المثبت بإطارات مطاطية، ومعالم الأزقة تحددها حفر تغمرها المياه الآسنة.

أما حنين - التي تعاني من تشوهات خلقية في الفم والأنف يتطلب علاجها عمليات جراحية - فهي تصرخ بصوت عالٍ طوال اليوم. وتسعى بشرى من خلال مفوضية اللاجئين لتوفير مساعدة نفسية لطفلتها التي قيل إنها تغيرت جراء الجو الذي يعيشون فيه.

زوج بشرى بات منذ عام مجهولَ المصير، ومنزلها في حمصأكلته النيران، الأمر الذي أجبرها على بيع ذهبها لتنتقل إلى لبنان، لتصبح هناك "اللاجئة السورية رقم مليون".حين أخبرها مسؤولو المفوضية العليا لشؤون اللاجئين في طرابلس برقمها، دمعت عيناها لأنها أدركت أن ثمة مليون سوري يعيشون التجربة نفسها.. تعيش بشرى حاليا مع أهل زوجها، وهم والداه وثلاثة من أبنائهما أحدهم مصاب بإعاقة تلزمه الكرسي المتحرك، وأربع بنات متزوجات مع عائلاتهن.

وتدفع العائلة إيجاراً شهرياً قدره 250 دولاراً، يوفره الابن الرابع الذي لا يزال يتنقل في شاحنته بين لبنان وسوريا، بينما تقيم زوجته وأبناؤه الثلاثة في المنزل الذي تغطي زواياه فرشات إسفنجية تستخدم للنوم.فقد تسببت الرطوبة المرتفعة والرائحة الكريهة في داخله بالتهابات حادة للطفل، لا حل لها سوى الإقامة في منزل يتمتع بالحد الأدنى من الشروط الصحية.

تشكل حالة بشرى وعائلتها مثالاً على وضع الكثير من العائلات السورية التي أجبرت على العيش بذات الظروف، لكن هذه الأم - التي تتولى مسؤولية طفلين وهي ما زالت دون العشرين ربيعاً - باتت تحمل رقماً رمزيا يذكرها بمعاناة شعبها.

وتقول بشرى إن صفة "اللاجئة رقم مليون" لا تعني لها الكثير على المستوى الشخصي، بل هي رقم مؤذٍ ودليل على أزمة صعبة، وتضيف أنه إذا بقي الوضع على ما هو عليه فهي تفضل العودة إلى سوريا، لأن الغربة مذلة.

سوريا وأوهام التقسيم

لن تمر دولتكم الطائفية

■ ياسر مرزوق

استكمالاً لملفنا السابق عن تحديات ما بعد سقوط النظام، الذي ذهب أبعد فأبعد في بناء ما سماه الباحث "نزيه الأيوبي" الدولة الشرسة وهي بحسب الباحث شديدة التعارض مع المجتمع، لا تستطيع التعامل معه إلا عبر القسر والقوة الخام حتى غدا استمراره في الحكم مساوياً لموت سوريا بعد موت السوريين.

عسكري أردني خبير يقول في أداء جيش النظام إنه يتبع إستراتيجية عسكرية اسمها التطهير والعقاب الجماعي حيث يقصف كل قرية تطلق منها رصاصة أو يلوذ بها منشق لا على التعيين وحيث عززت المجموعات السنية من الجيش النظامي تماماً بلا ذخيرة ولا دعم لوجستي وبلا سلاح حديث يتجاوز متطلبات الغفارة فقط وتقصف مناطق كاملة على أساس طائفي.. هذه عمليات جوية لا يمكنها أن تكون عسكرية أو أمنية بل طائفية وتطهيرية بامتياز وفقاً للخبير الأردني الذي سبق له أن شاهد نفس التكتيك من قبل سلاح الجو الصربي فقط ضد المسلمين ومن قبل سلاح الجو الأمريكي ضد الفلوجة.

في المقابل بدأ الثوار برفع راياتهم على الأراضي المحررة، وبعد راية الرقة سيعتاد السوريون رفع الرايات، ونحن نعيش السفر الأخير من الملحمة السورية ومع اقتراب النظام من النهاية يتواتر الحديث عن تقسيم سوريا، وتنطلق جوقة من التصريحات والسيناريوهات للتقسيم ويبدو النظام قائداً لهذه الجوقة، ولنا المرور على بعض هذه التصريحات التي ننقلها من مصادرها.

ففي حديثٍ له مع صحيفة الأهرام سُئل محمد حسنين هيكل عن الوضع في سوريا، فأجاب: هناك غير مقبول آخر يجري في سوريا بعد ما سبقته هو الآخر مرحلة من غير المعقول، يكفي في سوريا هذا الذي جرى في عملية توريث رئاسة الدولة، وكان سابقة خطيرة، كان الإصرار على التوريث مهينا للشعب السوري بكل معيار. بداية التوريث كان من الرئيس 'حافظ' إلى شقيقه' رفعت الأسد'، ثم وقع الشقاق بين الأخ وأخيه. وإذا إرث الرئاسة ينتقل بوضوح من الأخ الشقيق إلى الابن الكبير' باسل الأسد'، ثم تقع حادثة مؤلمة لـ' باسل الأسد'، وإذا إرث رئاسة الدولة ينتقل منه إلى الأخ الأصغر 'بشار'. وهذا غير معقول في نظام جمهوري.

المؤلم أن غير المقبول فيما يجري في سوريا بعد غير المعقول الذي سبقه معضلة كبرى للأمة ذاتها. التغيير في' سوريا' مطلوب، لكن تدخلا عسكريا أجنبيا في سوريا في هذه اللحظة مخيف، وصحيح أن النظام أساء إلى شرعيته بقسوة، لكن البديل بالغزو الأجنبي في هذه الظروف يصعب تقدير عواقبه، خصوصا بعد ما جرى في 'العراق' و'اليمن' و'السودان' وأخيرا 'ليبيا'، لا تتحمل المنطقة من 'بغداد' إلى 'بني غازي' بالعرض، ولا من 'حلب' إلى 'عدن' بالطول، كل هذا الذي يقع وبإلحاح وإصرار على أنها الإزاحة هنا، والآن وبواسطة تدخل جيوش وأساطيل أجنبية.

المهم أن الأزمة في 'سوريا' بالفعل أزمة نظام جاوز اللامعقول، لكن علاج اللامعقول لا يجيء بدواء اللامقبول، وبعض ما يجري في 'سوريا' مقصود به 'إيران' كهدف أساسي في ملء فضاء الشرق الأوسط، والذين يغامرون باللامقبول لا تهمهم العواقب، وربما أن هذا سر غضب بعضهم، وبينهم الرئيس الفرنسي 'ساركوزي' على البطريرك الماروني بشارة الراعي لأنه تحفظ تجاه ما يمكن أن يجري في سوريا على مستقبل موارنة لبنان.

ولم يكن 'ساركوزي' وحده هو الذي انتقد البطريرك الماروني، ولكن سبقه بعض زعماء القبائل العرب، الذين لا يهمهم التاريخ القديم في 'سايكس بيكو' الأولى ولا يلفت نظرهم الجديد الكامن في 'سايكس بيكو' الثانية. هذا هو المشروع الغربي في ملء فراغ المنطقة، ويجيء بعد ذلك مشروعان وشبح مشروع لا مستقبل له في ظني.

هناك مشروع إيراني وهو محدود في إطاره لأسباب عديدة، تضعها الجغرافيا بالمسافات، ويصنعها التاريخ بالثقافات، إلى جانب أن هذا المشروع تحت حصار، وعليه فإن إستراتيجيته الآن دفاع، - وهناك أيضا مشروع تركي لديه حظ أكبر، لأن أساسه التاريخي لا يزال في الذاكرة، ولا يزال في المواريث. وبمنتهى الأمانة فأنا لست متحمسا لهذه اللهجات بالغمز واللمز على تركيا، خصوصا في أعقاب زيارة رئيس وزرائها الطيب أردوغان. كل منطقة في الدنيا أرض وموارد وأهم من ذلك فضاء سياسي وثقافي وعسكري، فضاء نفوذ وقدرة وهيبة وهذا الفضاء لا يقل أهمية عن الأرض والموارد.

وكان ظني أن أفضل الخيارات المطروحة هذه اللحظة أن يستطيع العرب تأمين توازن في موقفهم يصون مصالحهم، ولا يقمع طموحات مستقبلهم، ولا يكون مقاولة 'تسليم مفتاح'!!، وتأمين التوازن في الحالة العربية لابد أن يتم بدرجة من التعاون مع الجوار الإقليمي الإسلامي، بصرف النظر عن فرقة المذاهب، وأنا لا أحسبها فرقة، وإنما رؤي مختلفة في التاريخ وفي الثقافة.

لكن الظاهر من الخطاب الرسمي العربي السائد، هو عداء إيران، والتشكيك في تركيا. والعداء لإيران بالتركيز على مذاهب سوف يؤدي إلى كوارث في شبه الجزيرة العربية، بدايتها ما نري في 'اليمن' و'البحرين'. والتشكيك في تركيا واستدعاء الجانب المظلم من التجربة العثمانية القديمة، قد يرفع تركيا للانضمام إلى 'سايكس بيكو' الجديدة شراكة مع الغرب الأمريكي الأوروبي في نصيب من الموارد والمواقع. كانت تركيا العثمانية هي الضحية التي توزع إرثها علي الآخرين في 'سايكس بيكو' الأولى.

والآن والإرث العربي القومي يوزع على الأطراف في 'سايكس بيكو' الجديدة، فإن تركيا إمام إغراء أن تكون شريكاً في الإرث الجديد بعد أن كانت ضحية في سابقه.

كما حذر مدير مركز ديان لدراسات الشرق الأوسط بتل أبيب، عوزي رابي، من تفكك سوريا طائفياً إلى دويلات بعد سقوط الرئيس السوري. وقال عوزي رابي في تصريح للإذاعة الإسرائيلية بأنه قد تقوم دويلات كردية وسنية وعلوية بحيث يتدفق العلويون إلى المناطق الساحلية مثل طرطوس واللاذقية، بينما يتمسك السنّيون بالعاصمة دمشق ومدينة حلب". ولم يستبعد رابي من أن تخلف الأسد معارضة تحمل طرحاً جدياً لاستقرار سورية ما بعد الأسد، ويتوقع المزيد من سفك الدماء وحالة من عدم الاستقرار، ستنعكس سلباً على الدول المجاورة وربما على الشرق الأوسط برمته".

وفي ذات السياق أعدت دراسة إسرائيلية للباحثين "ألون لفين" و"يوفال بوستان" بمركز أبحاث "سيكور ميموكاد" مخططاً جديداً لتقسيم سوريا إلى دولتين الأولى علوية والثانية سنية للحيلولة دون صعود السنة لسدة الحكم مثلما صعد الإخوان المسلمون في مصر، وأشارت الدراسة إلى أن عدم اتفاق الدول العظمى على التدخل العسكري في سوريا لوقف آلة القتل التي تعمل بشراسة هناك، يؤكد النظرية التي مفادها أن سوريا أصبحت ساحة جديدة للحرب الباردة بين قطبين كلاسيكيين، القطب الديمقراطي بقيادة الولايات المتحدة والأوروبيين وحلفائهم العرب، وقطب الممانعة بقيادة روسيا والصين وحلفائهم التقليديين إيران وفنزويلا وآخرين.

وخلصت الدراسة إلى أن تقسيم سوريا لدولتين علوية في الغرب وسنية في الشرق يصب في مصلحة كافة العناصر الفاعلة بالمنطقة، مؤكدة أن الصراع المحتدم في سوريا هو جزء من موجة الثورات التي اجتاحت الشرق الأوسط، مشيرة إلى أن هذا الصراع يجسد عدة صراعات أخرى محتدمة في الشرق الأوسط، فمن ناحية يجسد الصراع بين الأتراك والعرب ضد إيران والأسد وحزب الله، وكذا الصراع بين السنة والشيعة، والعسكر والعلمانيين، وحلم الخلافة الإسلامية وحلم قوميات الدول العربية المختلفة.

وقال نائب المتحدث باسم الخارجية الفرنسية فنسان فلورياني، في مؤتمر صحافي إن "النظام السوري متهم بنثر بذور الانقسام بين مختلف مكونات المجتمع السوري من أجل البقاء في الحكم"، مشيراً إلى أن "فرنسا والمجتمع الدولي متمسكان للغاية بسلامة ووحدة سورية".

كما قال الكاتب البريطاني الشهير روبرت فيسك، في مقال بصحيفة "الإندبندنت" البريطانية إن القوى الغربية تستعين في تشخيصها لمناطق الصراع في سوريا لـ"معلوماتها الفقيرة" بشأن الانقسامات الطائفية هناك، حيث إن المناطق الجبلية التابعة للعلويين وبالأخص بلدة "القرداحة" - منزل عائلة الرئيس السوري بشار الأسد - تعد آخر معقل للطائفة العلوية هناك، مشيراً إلى أن الغرب يعي جيدا أن تلك المنطقة هي خط أحمر بالنسبة للأسد.

واستطرد الكاتب البريطاني متسائلاً، "هل ستكون تلك هي آخر معاقل الطائفة العلوية التي تشكل نحو 12 بالمائة من إجمالي تعداد سوريا، عندما يتمكن الثوار من بسط سيطرتهم على العاصمة دمشق وتحريرها من قبضة قوات الأسد؟".

وربط فيسك الإجابة عن هذا التساؤل بدلائل تؤكد رغبة القوى الغربية التي تهدف دائما إلى إحداث مثل هذه الانقسامات في دول الشرق الأوسط، معيدا إلى الأذهان تقسيم العراق إلى مناطق تقطنها أغلبية شيعية وأخرى كردية وفي الوسط مناطق تقطنها الأغلبية السنية، وأيضا مثل ما حدث في لبنان فإن الشيعة تسيطر على مناطق بعينها بينما الشيعة في الشرق في حين تسيطر السنة على طرابلس وصيدا والمسيحيون في شمال بيروت.

وقال نصر الله شريك النظام في المقتلة إن "اخطر ما تواجهه منطقتنا وأمتنا في هذه المرحلة وخصوصا في السنوات الأخيرة هو مشروع إعادة

تقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة على أساس طائفي أو مذهبي أو عرقي أو جهوي".

كما أكدت مؤسسة مابلكروفت البريطانية المتخصصة في مجال الاستشارات برسم استراتيجيات المخاطر بأننا نشهد تقسيم للدولة السورية: فالأكراد يتمركزون في الشمال والدروز في التلال الجنوبية والعلويين في المناطق الشمالية الغربية الجبلية والساحلية أما الطائفة السنية ففي باقي المناطق.

تاريخ التقسيم:

مع مطالع الثورة حذرت بثينة شعبان من مؤامرة تستهدف تقسيم سوريا، وحلم الدويلة العلوية له جذور تاريخية عند بعض أبناء الطائفة وهو متأصل عند آل الأسد الذي كان جدهم سليمان من الموقعين على عريضة تطالب فرنسا بحماية الكيان الوليد، ففي نهاية الحرب العالمية الأولى تم تقسيم أراضي الإمبراطورية العثمانية في الشرق الأوسط. واحتلت فرنسا سوريا في عام 1920. وكانت المنطقة الساحلية منطقة حكم ذاتي تحت الحكم الفرنسي، وفي عام 1922 تم ضمها إلى سوريا الفرنسية. باتحاد فدرالي فضفاض بين ثلاث دويلات "دمشق وحلب والعلويين" تحت اسم "الاتحاد السوري"، واتخذ علم لهذا الاتحاد كان عبارة عن شريط عرضي أبيض يتوسط خلفية خضراء.

وفي عام 1923، أعلنت دولة العلويين وعاصمتها مدينة اللاذقية، وفي الشهر الأخير من عام 1924 قرر الفرنسيون إلغاء الاتحاد السوري وتوحيد دولتي دمشق وحلب في دولة واحدة هي دولة سورية، وأما دولة العلويين فقد فصلت مجدداً وعادت دولة مستقلة بعاصمتها في اللاذقية. عام 1925، وفي 22 أيلول من عام 1930، أعيد تسميتها باسم سنجق اللاذقية. وصل عدد سكانها في ذلك الوقت 278. 000 نسمة. وفي عام 1937تم ضمها بالكامل إلى سوريا، بسبب الرفض الشعبي للتقسيم واتفاقهم على القومية السورية.

وبعيداً عن أحلام أفراد من الطائفة العلوية فإن مخططات التقسيم للمنطقة لم تهدأ منذ التقسيم الأول مطلع القرن الماضي فسورية في حدودها الحالية ليست وحدة تاريخية أو عرقية متجانسة بل هي ثمرة تسويات استعمارية انكليزية فرنسية حددت على أثر الحرب العالمية الأولى حدود الدول التي نشأت على أنقاض الدولة العثمانية، وكان لابد لهذا الكيان الجديد من أن يتحول إلى دولة أمة تملك معطيات اجتماعية وثقافية للحياة، وفعلاً بدأت مؤسسة الدولة بالنضوج وصولاً إلى حكم العسكر الذي أعاد النسيج الاجتماعي السوري للوراء تحت شعارات ضدية تعرف عن الدولة ككيان مناهض للاستعمار والإمبريالية والصهيونية.

في عام 1980م صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي "بريجنسكي" بقوله: "إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الخليجية الأولى التي حدثت بين العراق وإيران تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود "سايكس - بيكو"، وعقب إطلاق هذا التصريح وبتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" بدأ المؤرخ "برنارد لويس" بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعًا كلا على حدة، ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقي.. إلخ، وتفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وقد أرفق بمشروعه المفصل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه تشمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحة للتفتيت بوحي من مضمون تصريح "بريجنسكي" مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس "جيمي كارتر".

في عام 1983م وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية على مشروع الدكتور "برنارد لويس"، وبذلك تمّ تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات مقبلة.

كما وفي السياق ذاته نشرت عام 2002 دراسة زاشاري لطيف أي قبل الاحتلال الأمريكي للعراق، اقترحت هذه الدراسة السياسة التي طبقها "الحاكم المدني بريمر" بحذافيرها والتي ورد فيها تقسيم العراق طائفياً وإخراج بدائل سياسية عرقية ومذهبية في كل من شمال ووسط وجنوب العراق، وقد شددت نفس الدراسة على ضرورة إعادة تشكيل خريطة العراق وإيران والسعودية وتقسيمها إلى عدة دويلات.

كما ظهر في الثمانينيات مشروع عوديد عينون " إستراتيجية إسرائيل في الثمانينات "، القائم على تقسيم المنطقة إلى خمسة كيانات متناحرة، وأهمية الفكرة الإسرائيلية حول تقسيم المنطقة وسورية، أنها تتوافق ومصالح اسرائيل القريبة والبعيدة وتلبي مصالح فئات محلية. فإسرائيل سيعطيها التقسيم مبرراً لترسيخ دولتها الدينية.

النظام وأحلام التقسيم:

في مقابلة مع صحيفة "لوفيغارو الفرنسية " اتهم النائب السابق للرئيس السوري عبد الحليم خدام، رأس النظام أنه بصدد محاولة تطبيق خطة لـ "تقسيم" البلاد وأنه لهذا الغرض يقوم بحشد أسلحته الثقيلة والإستراتيجية في مناطق العلويين التي تشمل جنوب غرب حمص وتمتد صعوداً عبر حماة لتصل إلى اللاذقية على الساحل، كما قاموا بتوزيع بنادق وأسلحة رشاشة في المدن والقرى التي تتمركز فيها الأقلية العلوية التي تتحدر منها أسرة الأسد، وتمثل "5 ٪ " من عدد السوريين، ويطبق الأسد اليوم – حسب خدام - خطة " تهدف إلى إثارة حرب طائفية وأهلية " وقد وقعت الآن. وأضاف أن "القوة فشلت ولم يبق أمامه سوى تطبيق خطة زعزعة الاستقرار وتقسيم سوريا، والتي من شأنها تدمير البلاد ". وهو ما يقوم به الأسد حرفياً على الأرض وكثير من التقارير وشهادات المراقبين والسكان تؤكد أن تحضيراً واسعاً لخلق منطقة آمنة وحصينة عسكرياً وماليا في الساحل السوري تجري على قدم وساق.

وفي سعي النظام لإقامة الدولة المزعومة، وبحسب مصادر إعلامية، فقد تمت سرقة الذهب واحتياطي العملة الأجنبية الذي تملكه الدولة السورية في البنك المركزي السوري والخزينة العامة، وجرى نقل أطنان منه إلى مناطق في الساحل السوري، وكأن الأسد يكرر ما فعله عمه رفعت الذي قام بنهب المصرف المركزي والأديرة في صيدنايا كمكافأة لنهاية الخدمة، كما تم نقل الكثير من المنشآت الصناعية و الأسلحة الثقيلة والصواريخ والقطعات الفعالة إلى الدولة المزعومة.

كما أن الجملة التي يشنها "حزب اللّه" اللبناني حالياً على حمص وريفها، دعماً للجيش النظامي، تأتي بقصد تأمين ممر بري آمن ما بين المناطق الشيعية في لبنان بمنطقة بعلبك - الهرمل، والدولة العلوية المتوقعة، والتي ستمتد من لواء الإسكندرون التركي شمالاً حتى حدود لبنان الشمالية، حتى أن صحافياً إسرائيلياً كشلومو أفنيري كتب تحليلاً قبل أشهر في صحيفة هآرتس، قال فيه إنه إذا سقط الأسد فلا يمكن نفي سيناريو " اجتماع العلويين في حصنهم الجبلي ". ويزيد موقع سوري مقرب من الحكومة أن اسم الدولة العتيدة يجب أن يكون "دولة سورية العلمانية" لكي تجتذب "الأقليات الأخرى غير السنية" فلا تعطي لنفسها صبغة مذهبية.

وبعيداً عن أوهام رأس النظام في مملكة علوية تعوض خسارته للعرش السوري، تظهر تحديات الواقع، فلو تمت المعجزة ووافق العلويون على إقامة دولة لهم في الساحل، هل سيقبلون بالأسد ونظامه القمعي رئيساً لدولتهم العلمانية، وما هو المبرر الشرعي الذي ستطلقه أبواق النظام بعد أن سقطت شعارات أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة وسقطت الوحدة والحرية والاشتراكية.

كما يبرز تحد آخر أمام الكيان المزعوم فالعلويون لا يسيطرون ديموغرافياً على أي منطقة جغرافية في سوريا، أسوة بالأكراد، أو الدروز، وبالتالي سيتم العمل على تحقيق هذه السيطرة بعمليات من التطهير والتهجير سيقابلها تطهير من الجانب الآخر ستدفع الطائفة فيه الثمن الأكبر بحكم الاختلال العددي، إضافة إلى أن الدولة المقترحة ستكون محاطة بمحيط سني عدائي شمالاً وشرقاً وجنوباً، أما اقتصادياً فكيف لهذه الدولة النهوض في منطقة طالما أهملها النظام وتركها عزبة لأعمامه وأخواله، فبعيداً عن المرفأ وتهريب الأسلحة التي لزمها النظام لعائلته لا تملك المنطقة الساحلية مقومات دولة مستقلة عن الداخل السوري.

عوائق وتحديات ضخمة تاريخية ووطنية وإقليمية وغيرها ستحبط هذا المشروع وسيكون مصيره مشابهاً للدولة العلوية الأولى، كما أن زخم الحالة الثورية الشعبية في سوريا والتي لم تكن يوماً ثورة سنية لن تسمح بتمرير هذا المشروع الطائفي. و لعل التحدي الأكبر الذي يواجه رأس النظام أن علويي سوريا اليوم هم أحفاد من رفض الانسلاخ عن الوطن الأم تاريخياً وهو حفيد من طرق أبواب المستعمر في سبيل دولته الطائفية.

في الختام نحن اليوم بأشد الحاجة لحكومة ترسخ مبدأ الشرعية في مواجهة الحراك المسلح، فالشرعية مفهوم مدني يتصل بالإرادة الشعبية كما تعبر عن نفسها في زمن سلمي تعريفاً فضلاً عن اتصالها الوثيق بسلطة معينة تبلورها وتجلوها في دولة ما ولأن هذا كله ينتفي في حالة حدث الثورة، حيث يعطل العنف تلك العناصر بوصفها معايير يحتكم إليها ليحل محلها الخيار الإيديولوجي، أو الأهلي المموه إيديولوجيا، الذي يستقي شرعيته من تقديره لما هو صواب وما هو خطأ أما أماني التقسيم فقد ردت عليها سوريا بشعار الجمعة الفائتة "لن تمر دولتكم الطائفية".

الشعب والحكومة والوطن

■ خالد كنفاني

يحار المرء عند الوقوف أمام ما يحدث في سوريا وخارجها بشأن النكبة السورية والمأساة المتنقلة بين المدن والقرى في كل أرجاء المعمورة حيث لم يعد مكان في هذه الأرض يخلو من لاجئ أو هارب أو مختبئ أو منشق أو متوار من سوريا. انقلبت سوريا جحيماً مسعوراً لهواة الموت والتدمير يضيع بينهم عدد محدود من الثوار الحقيقيين الشرفاء الذين حملوا أرواحهم على أكفهم وانطلقوا في وجه الظلم غير آبهين بالمجالس والهيئات والتحالفات والمؤتمرات التي لا تبيع سوى الكلام ولا تتاجر إلا بأرواح البشر.

يشترط رئيس الائتلاف على النظام السوري "اللاشرعي" تجديد جوازات السفر للسوريين في الخارج كشرط للحوار، يسقط بعدها آلاف القتلى قبل أن "يقبل" النظام بتجديد جوازات السفر رغم دعوات الائتلاف نفسه للاستيلاء على السفارات السورية في الخارج، وهو ما حدث فعلاً في الدوحة. وقد أيد العالم خطوة تجديد الجوازات من قبل نظام تعتبره ما لا يقل عن مائة دولة في العالم "غير شرعي". يعود بعدها العرب ليعلنوا أن الائتلاف الوطني هو الممثل الشرعي والوحيد للشعب السوري (دون استشارة هذا الشعب بطبيعة الحال) وتقرر الجامعة العربية تسليم مقعد سوريا للائتلاف وحضور القمة العربية المقررة في الدوحة (أيضاً).

إذا استطعنا اليوم استجلاب سقراط للزمن الحاضر ووضعنا أمامه المعادلة السالفة الذكر فإنني أعتقد جازماً أنه إما سيتراجع عن نظريته الفلسفية الشهيرة المتعلقة بمنطق النتيجة، أو أنه سيفضل (وهو الغالب) العودة إلى زمن الإغريق الذي كان فيه الكثير من الإنسانية والقليل من النفاق والغباء السياسيين. كيف يكون النظام لا شرعياً بينما يكون هو الوحيد المخول بتجديد جوازات السفر والمصادقة عليها وعلى كل الوثائق الرسمية لاستخدامها داخل وخارج سوريا؟ لا بل ويطلب منه الائتلاف "الممثل الشرعي والوحيد" والذي يطالب بتسلم السلطات في سوريا بأن يقوم بتجديد جوازات السفر. مفارقة من العيار الثقيل لا يريد الكثيرون اليوم أن يدخلوا في تفاصيلها لأنها ستظهر مدى سفاهة المعارضة السورية ومدى نفاق "أصدقائهم" العرب وغيرهم.

لم يتوقف موضوع المفارقات هنا، فالمعارضون السوريون الذي يتباكون نهاراً لأجل الديمقراطية والحرية ويتسولون ليلاً الهبات الخليجية للحفاظ على معدل سفريات ثابت لم يجدوا في أنفسهم أية غضاضة في التباحث فيما بينهم واختيار رئيس حكومة ليس للائتلاف وإنما للوطن بأكمله. وإذا كانت أنظمة الحكم في العالم تنقسم إلى عدة أقسام كالملكي المطلق أو الملكي الدستوري والجمهوري السيادي والجمهوري البرلماني وغيرها، فإننا لم نسمع عن حكومة يقوم بضعة عشرات من الأشخاص باختيار رئيسها دون أن يعرض هذا الأمر على الشعب الذي يدعي الجميع صداقته والدفاع عنه. تتجه الأمور في سوريا بشكل معاكس تماماً لما يحدث لدى أي بلد، فالعالم هو من يختار رئيس الائتلاف، ولكل طرف أو دولة نصيبها داخل الائتلاف أو المجلس لضمان عملية "فرق تسد" (لا كما يوحي البعض بأنه حفاظ على مصالح أو غيرها فالدول الداعمة ليست بحاجة إلى بضعة ناشطين في حقوق الإنسان ليضمنوا مصالحهم)، ومن ثم تبدأ المساومات على اختيار رئيس حكومة من هؤلاء وبطريقة اعتباطية داخل الائتلاف ومدروسة خارجه، وبعدها علينا أن نتوقع اختيار أعضاء الحكومة ومجلس النواب دون أن يكون لكل هؤلاء موطئ قدم داخل سوريا ودون أن يكون لهم أي امتداد شعبي في الداخل.

ما الذي يتغير اليوم في حياة السوريين من الناحية السياسية؟ لا شيء، هي ذاتها العقلية الإقصائية المتطرفة في كل شيء والتي تبقي على بعض الوجوه والأسماء لذر الرماد في العيون وإثبات "عدم طائفية" الائتلاف أو التكتل أو المجلس. هناك الكثير من "تبويس الدقون" في عمليات الاختيار والتعيين والمشاركة في المؤتمرات وكأن هؤلاء يتوارثون أملاك آبائهم. اختيار الائتلاف "الممثل الشرعي والوحيد" هو تجسيد لعقلية الحزب الواحد والرأي الواحد ويظهر تعطش أعضائه للمناصب والسلطات والشهرة رغم أننا نعتقد جازمين أن أياً من هؤلاء لن يجرؤ على دخول سوريا بعد تحريرها على أيدي أبطالها الحقيقيين لأنهم سيعرفون يومها مقدار شعبيتهم ومكانتهم الحقيقية بين الناس. وسيتشدقون يومها بأن مهمتهم "الانتقالية" قد انتهت وآن أوان البناء والعمل الفعليين ولكن ذلك سيقوم به أبناء سوريا في الداخل، وهكذا يعود كل منهم إلى البلد الذي منحه جنسيته فيما مضى (غالبية أعضاء الائتلاف لديهم جنسيات أجنبية معتبرة رغم إنكار بعضهم لذلك) ويتركون العمل الحقيقي لغيرهم بعد أن استفادوا وانتفعوا طوال سنين الثورة.

وتبدو الأمور أسوء لدى الاطلاع على أسماء المرشحين لرئاسة الحكومة "الافتراضية"، وقد ذكرنا في مقال سابق أن غالبية السوريين سترفض قطعياً أية شخصية سياسية كانت جزءاً من النظام الحالي في سوريا، وخاصة إذا كانت هذه الشخصية ممن شغلوا مناصب رفيعة وهامة، إذ لم يكتف هؤلاء بما نهبوه وجمعوه طوال عقود من التملق والنفاق في حكم البعث، بل يبحثون اليوم عن مورد جديد ونبع جديد ينهلون منه وبذات الطريقة: التملق والنفاق والمزايدة، ولكن مع اختلاف المكان والزمان والشخصيات والأطراف التي يتم التملق لها.

كيف يمكن للسوريين ان يقبلوا أن يرأس حكومتهم القادمة رجل عاش أكثر من عقدين يرعى في حظيرة البعث ويجمع الثروات من جيوب الناس باسم الاشتراكية؟ وهل خلت سوريا من الرجال؟ هل قامت هذه الثورة لتنقل ذات الشخصيات من اليمين إلى الشمال؟ ومن يقوم باختيار الشخصيات اليوم؟ ومن أعطى الائتلاف توكيلاً للتحدث باسم الشعب السوري؟

هناك ثوابت رئيسية في هذه الثورة يجب أن لا يحيد عنها أحد: لا رجوع إلى زمن العقل الواحد والقائد الملهم والجهة الوحيدة وكل ما هو واحد، يجب أن يكون التعدد عنوان المرحلة المقبلة على كل المستويات، ولذلك يميل كثير من السوريين إلى فكرة النظام البرلماني الدستوري الذي يحكم البلاد فيه أغلبية مجلس النواب لا الرئيس أو الملك فقط. لأن السوريين تعبوا من قرون طويلة من الإجبار على الرأي الواحد وحان الوقت ليقول كل إنسان رأيه الخاص به لا رأي "الواحد الأحد" و"حكيم الأمة" وملهمها ومبدئها ومنتهاها وشمسها وقمرها. وسأعيدها مراراً وتكراراً: لن نقبل بعد اليوم بمن يتم فرضه علينا حتى ولو كان من السماء، وسنقرر مصيرنا وممثلينا بأنفسنا وليبق من يرفض ذلك خارج التاريخ وإن أصرت قطر او السعودية أو تركيا أو بريطانيا على حشوه في أنوفنا، فسوف نلفظه خارج عقولنا وقلوبنا ووطننا الذي ترتوي أرضه اليوم بدماء عشرات آلاف الشهداء وتمتلئ سماؤه بصرخات مئات الآلاف من الأمهات الثكالى والملتاعين لفقد أحبتهم.

إن تعريف الحكومة لدى كل المفكرين السايسيين والاقتصاديين في العالم ينطلق من أنها مؤسسة تنفيذية تقوم على تنفيذ ما يتم فرضه من قوانين ومراسيم وغيرها صادرة عن مجلس للنواب أو أيا كانت تسميته، كما أن الحكومة لا بد وأن تكون من رحم الأغلبية النيابية (كالنظام البريطاني) أو يختارها الرئيس الذي تم انتخابه بالأغلبية (كالنظام الفرنسي والأمريكي)، أما أن يتم فرض رئيس حكومة من خارج الوطن وفجأة ودون مقدمات، بل والأسوأ وأن يكون مسؤولاً رفيع المستوى في النظام السابق فالمسألة بحاجة إلى إعادة نظر بشكل جوهري، فمثل هذا الرجل مكانه قفص الاتهام في محكمة الشعب لا أن يعود إلى ذات المنصب وبحلة جديدة (مهداة على الغالب من السلطان العثماني أو ملك الإنسانية). هناك كثير من المفارقات في الألم السوري المزمن والجرح النازف ولكن عقولنا لن تهدأ قبل ان نقضي على النظام وعلى المتاجرين بدماء السوريين والمتسولين على اسمهم في كل أرجاء الدنيا.

ولإحقاق الحق، وبينما نكتب هذه السطور، فقد أعلن رياض حجاب سحب ترشيحه لرئاسة الحكومة وبقي أن نراه في محكمة الشعب لمحاسبته على كل ما اقترفه وكل ما جمعه فيما مضى باسم النظام والبعث، وقبل ذلك لا مساومة على حق من حقوق السوريين والثأر لدماء شهداء سوريا في الخمسين عاما الماضية وليس فقط خلال الثورة.

الائتلاف يعوي والثورة تسير، ولن يحول بينها وبين النصر "حجاب".

آخر الكلام: يقول الشاعر محمود الزبيري

يا شَعْبَنا نصفَ قرنٍ في عبادتهمْ
رضيتَهُمْ أنتَ أرباباً وعشتَ لهم
قَضَيْتَ عُمْرَكَ ملدوغاً، وهأنذا
تشكو لهُ ما تَلاقي وَهْوَ مُبتعثُ الشـ
ـم يقبلوا منكَ قرباناً تُؤدّيهِ
تُنيلهم كلَّ تقديسٍ، وتأليهِ
أرى بحضنكَ ثُعباناً تُربّيهِ
كُوى وأصلُ البَلا فيما تُلاقيهِ

التحليل السياسي في الثورة السورية (1)

■ خالد قنوت

يتفق الباحثون في العلوم السياسية على أن التحليل السياسي لا يتوقف على كونه علماً بحد ذاته بل هو فن وموهبة أيضاً، يعتمد على عدد من المهارات والجهد الذهني العالي في عملية البحث عن الاحتمالات الممكنة لمسارات التفاعلات في الواقع السياسي والقوى السياسية في المجتمع وتفسيرها بشكل علمي وعملي ومنطقي وتحديد شكل العلاقات بين تلك القوى السياسية الداخلية والخارجية، وهي الطريقة التي نحكم بها على الظواهر والأحداث السياسية محلياً وإقليمياً وعالمياً.

والتحليل السياسي يتضمن قسمين أساسيين:

القسم الأول: هو الفهم الدقيق لمسار الأحداث، بمعنى التعمق بالحدث السياسي وعدم الوقوف عند حد المعرفة السطحية، فقد يتحمل الحدث السياسي أكثر من معنى، فقد يكون ظاهره شيء وباطنه شيء آخر. لا يعني ذلك الوقوف عند لحظة الحدث بقدر ما المعرفة والإلمام بالجانب التاريخي له وارتباطها بوقائع أخرى ذات صلة وبطبيعة الشخصيات والجهات والدول الفاعلة بذاك الحدث.

القسم الثاني: هو إدراك الأسباب الدافعة للحدث، بداية بالظاهر منها ثم الخفي، التي ربما لا يدركها غير المتخصصين بأصول التحليل السياسي.

يتم التحليل السياسي وفق معايير وقواعد وأسس ومنهجيات محددة تعتمد على استخدام أدوات التحليل بشكل يتطابق مع حجم المشكلة موضوع التحليل وتعتمد بالدرجة الأولى على مهارة المحلل وقدراته على الاستنتاج والتنبوء لواقع الأحداث ومساراتها المختلفة.

إن التفكير الإنساني هو ذلك النشاط العقلي الذي يواجه به الإنسان مشكلة ما تصادفه في حياته، ونستطيع أن نقسم مراحل التفكير من التطور الفكري والحضاري للإنسانية إلى ثلاثة مراحل أساسية:

- مرحلة التفسير: في هذه المرحلة يستخدم الفرد قدراته في فهم ومعرفة الأحداث وتفسير المواقف التي واجهته

- المرحلة السبر: يحاول الإنسان التفكير والتأمل في الظواهر والأساليب الأخرى التي لا يستطيع فهمها أو معرفتها عن طريق حواسه المجردة المعروفة

- المرحلة العلمية التجريبية حيث يستخدم الفرد المخزون المعرفي العلمي والحرفية العملية لتطويع المعطيات وصولاً إلى التفسير المنطقي.

في أحد لقاءاتنا مع المفكر الراحل إلياس مرقص، سألنا عن جذر الناقص واحد؟ ونحن كطلاب هندسة كان جوابنا رياضاً مجرداً. لكن المفاجأة التي اعترت وجوهنا أنه أعتبر أن الجذر ناقص واحد هو تعبير فلسفي بالأصل وانطلق من هذا السؤال لشرح الفراغ الإقليدي وعلم المثلثات ونظرية فيثاغورث كمسائل فلسفية، لينتقل وبشكل سلس لموضوع التحليل السياسي منتقداً الخطاب السياسي العربي البعيد عن هذا العلوم وقصوره بشكل عام. أذكر كلماته المنفعلة وهو يتساءل، (كيف يدعي البعض أنهم محللون سياسيون ولديهم قصور معرفي قبل الموهبة؟) وأضاف (لا يمكن أن يكون المرء محللاً سياسياً وهو لا يعرف الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الاجتماعيات ويكون لديه معرفة بالعلوم الاقتصادية).

بالإضافة لما قاله الراحل فإن التحليل السياسي يحتاج إلى ملكة التفكير، وبدوره يحتاج إلى فهم السياسة، وهو أمر في غاية التعقيد، ويقول "روبرت دال" في كتابه التحليل السياسي الحديث "إن أي فرد يستطيع أن يفهم السياسة بقدر، ولكن السياسة موضوع غاية في التعقيد، بل وربما هي أكثر المواضيع التي يواجهها الإنسان تعقيداً. وتكمن الخطورة في حقيقة أنه مع افتقاد الخبرة اللازمة للتعامل مع تعقيدات السياسة فإن المرء ينزع إلى تبسيطها بصورة مخلة".

أيضاً، لابد أن يمتاز المحلل السياسي بالإدراك، وهو المقدرة العالية على تفسير الظواهر وتحليلها وفهمها ثم تحديد رد الفعل المناسب، وعمليّة الإدراك تتأثر بمجموعة كبيرة من العوامل التي تلعب دوراً هاماً في الطريقة التي يتم بها تفسير وتحليل الظواهر وأبرزها هي:

1 - الحواس وقدرتها على الاستقبال

2 - الخبرات السابقة والمعلومات المختزنة لدى الفرد

3 - البيئة الحضاريّة التي يعيش فيها

4 - الدور الوظيفي

5 - الدور الاجتماعي الذي يعيشه

6 - الدور الفكري

7 - القيم الدينيّة التي يؤمن بها

8 - المستوى الثقافي والتعليمي

9 - توقعات الفرد لما سيتم استقباله من مثيرات

10 - المشاعر والاتجاهات والحاجات الكامنة لدى الفرد.

أهمية التحليل السياسي:

يعد التحليل السياسي اليوم من المسلمات في الحياة السياسية، سواء لرجل السياسة والدولة أو المهتمين بتحليل الشأن السياسي من المفكرين والباحثين من ذوي المعرفة والخبرة وسعة الأفق لفهم ما يدور في الواقع السياسي، ويعد التحليل بمثابة الوقاية من جهة والتحسب للظواهر السلبية الزاحفة والعلاج من جهة أخرى ومعالجة الأسباب المشابهة التي تؤدي إلى وصول الأحداث المضطربة إلى مسرح الحراك السياسي في حالة عدم تحليلها إلى عواملها الأولية ومعرفة مخرجاتها، ولعل من أبرز فوائد التحليل السياسي هي:

1 - البعد عن الأحكام المطلقة، والبحث في كافة الاحتمالات الممكنة، ودرجة القوة في هذه الاحتمالات ومدى تأثيرها، ومن ثم ترك المجال لتعدد وجهات النظر وقبول الرأي الأخر

2 - معالجة القضايا والمواقف بشكل أكثر وعياً وعمقاً، والبعد عن المعالجة العاطفية أو التي لا تستند إلى أدلة واضحة يمكن أن يقبل بها الطرف الأخر

3 - عدم الوقوف عند رأي واحد وإغلاق الباب أمام آراء الآخرين حتى وإن كانت أكثر قناعة أو موضوعية، وبالتالي القدرة على مناقشة الآراء وتفنيدها، ومراجعة النفس إن وجدت الصواب أكثر في رأي غيرها، والتعود علي احترام الرأي الآخر

4 - المشاركة في صناعة القرار السياسي.

تتعدد مدارس التحليل السياسي، ولكل مدرسة مبرراتها ومسوغاتها وآلياتها بشكل عام، وتبرز في هذا الصدد عدة مدارس، منها

أ. المدرسة الأيديولوجية: هناك من المحللين من يتناول الحدث السياسي تحليلاً في ضوء مدرسة أيديولوجية محددة ورؤية يؤمن بها ويعتقدها وتتباين بين أيديولوجية دينية (تعتبر جوهر الصراع هو صراع ديني أو طائفي أو مذهبي) أو قومية (حيث تطبع حقيقة الصراع النزاعات القومية) أو اقتصادية (و هنا العامل الاقتصادي هو الجوهر في التحليل السياسي).

ب - المدرسة الواقعية: المدرسة الواقعية، تؤمن بأن الواقع هو المصدر الأول والأخير في التحليل السياسي، فنحن لا نركن إلى سبب واحد في التحليل، بل هناك جملة عوامل واقعية تفسر وتعلل وتكشف، فلا نستبعد دور المزاج والتاريخ في اتخاذ القرار السياسي، وفي فهم الحدث السياسي، والظاهرة السياسية، وغيرها من موضوعات التحليل السياسي المطروحة، ولا نستبعد دور الذكريات بين الدول والشعوب والقوميات والأديان والمذاهب المسؤولة عن الحدث السياسي وتعميقه.

من أهم عوامل نجاح التحليل السياسي هي البعد عن التخمين واتباع أسلوب الاستقراء والاستنتاج في تكوينه، حيث أن التخمين لا يستند إلى أي أسس أو مؤشرات ولكن فقط تهيؤات، بينما الاستقراء هو أحد أشكال الاستدلال تكون فيه معطيات وعناصر الحجج المقدمة تدعم الاستدلال النهائي ولكنها لا تؤيده مئة بالمئة وهو نوع من تعميم الملاحظة المتكررة بشدة لصياغة ما يشبه قانون وضعي يخضع للتمحيص والفحص والتجربة مرات ومرات، أما الاستنتاج فهو عملية ذهنية تستخلص منها استخلاصاً دقيقاً من قضية أو عدد من القضايا تدعى مقدمات، قضية أخرى تدعى نتيجة تنتج عنها بالضرورة كما تقتضي قواعد المنطق، حيث يبدو الاستنتاج حركة فكرية تمضي من حدس إلى حدس، مرتبطة بسلسلة من القضايا التي أخذت بطريق الاستقراء، مما يشير إلى أن الاستقراء هو أساس الاستنتاج.

القصد هنا أن لا يكون التحليل السياسي قطعي ونهائي بقدر ما يكون مرتبط بعدد الاحتمالات الممكنة الحصول، يقول ونستون تشرشل: (إن السياسي الجيد هو ذاك الذي يمتلك القدرة على التنبؤ، والقدرة ذاتها على تبرير لماذا لم تتحقق نبؤته).

مما تقدم وبمناسبة الذكرى الثانية لقيام الثورة السورية، كنت أحاول أن أضع الأسس الأولية لمشروع فكري علمي عن الثورة السورية يتناول بالتحليل السياسي الأسباب الموضوعية والذاتية لقيامها وتحليل عناصرها ولاستمرارها والمنعطفات الأساسية التي حدثت بها والمآلات المحتملة لها وتأثيراتها على الكيان السوري وعلى المواطن السوري الفرد وعلى الجوار الإقليمي والدولي.

سيكون من المفيد لهذا المشروع مشاركة من جميع المهتمين بالأزمة السورية وخاصة أصحاب المصلحة الوطنية على اختلاف انتماءاتهم السياسية، متمنياً مشاركة واسعة.

سيكون المشروع على ثلاث أقسام:

1 - أسباب قيام الثورة السورية.

2 - أشكال وعوامل استمرار الثورة السورية على مدار عامين.

3 - مآلات الثورة السورية.

عماد نصر ذكري: آيات علمانية

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم "آيات علمانية" للكاتب الصحفي الدكتور عماد نصر ذكري، بتقديم الكاتب الكبير د. خالد منتصر، وعن الكتاب يقول الناشر أحمد سعيد: في حين يشهد العالم العربي صراعًا بين الهُويّات، يقوم فيه بعض المتصارعين بتشويه الآخر ووصمه وتخويف المجتمع منه بتكفيره، ويشتد الصراع على السّلطة والحُكم فتشتد المنافسة وتشتعل حروب التشويه والتشويش، ويصير كل دنيء مُباحًا لأجل حسم المعركة.

يُحتّم هذا المشهدُ علينا أن نقوم بدورنا الثقافي والمعرفي في هذه المرحلة بتوضيح الحقائق التي يسعون لتغييب عقول الناس عنها.

آيات علمانية.. عنوان يحمل في طيّاته الدليل إلى العلمانية، كما هي، لا كما يُصوّرها كارهوها وأعداؤها، نُقدّمه للقارئ العربي في أحلك أوقات المعركة. نرجو أن يكون مرجعًا لجيل سعى للعيش بحُرية وكرامة إنسانية وعدالة اجتماعية، وبذل فلم يبخل حتى بالدم.

ونأمُل أن يُحقق الكتاب ما نصبو إليه من تعريف الناس بالعلمانية وكشف اللبس الحاصل لديهم بينها وبين الكفر والإلحاد بفعل تعمُّد تشويهها من قِبل المستبدين باسم الدين.

ويقول د. خالد منتصر في مقدمته "الجري في المكان":

«الجري في المكان» تمرين شهير يعرفه ويُتقنه كُل من التحق بالجيش، هذا التمرين يُلخِّص حالنا العقلي والفكري في المرحلة الانتقالية، قبل وبعد الثورة، تمرين الجري في المكان يُزيح الرِّمال، لكنه يغرس قدميك أكثر فيها، لا تتحرك مللي مترًا واحدًا عن مكانك، لكنك تبذل كل الجهد في ألا تغادر مكانك، تستنفذ العرق والجهد في الثبات والتكلس والتحنُّط في المكان، وهكذا كانت ثورتنا، أزاحت رمال مبارك لكنها لم تُزِح أفكار عصر مبارك وزمن مبارك، بذلَ شبابُنا كل الجهد والعرق والدم لكي نقف في مكاننا ونسلم الثورة لأكثر التيارات رجعيّة، تمرين ثورتنا يستحق لقب التقهقر في المكان.. وليس الجري في المكان.

الكتاب الذي تتصفحونه الآن فيه رصد لفترة التقهقر في المكان، قراءة لعقل مصر في هذه الفترة، يؤكد فيه المؤلف د. عماد نصر ذكري على أن بذور التخلف والرَّجعية زُرعَت في زمن مبارك وبمباركة مباركية! جنين السلفية الوهابية كان في رحم عصر مبارك ورجاله، كانت ذقونهم تنبت إلى الداخل، ولذلك لم تكن مفاجأة أن هؤلاء هم الرابح الوحيد في برنامج من سيربح الميدان!

فرج فودة اغتيل في عهده، نصر أبو زيد نُفي في عهده، أمن الدولة استخدم التيار السلفي في عهده، المرة الوحيدة في عهده التي انتُقِد فيها وزير من الحزب الوطني كانت لأنه انتقد الحجاب! الفاترينة ليبرالية والبضاعة سلفية.

المؤلف مُدافع جَسور عن العلمانية، لا يرضى بأنصاف الحلول ولا يُمسك العصا من المنتصف، يعرف أن العلمانية هي الحل، حتى لمن يُريد أن يُحافظ على دينه ويمارسه بحُرية، العلمانية ضد الفاشية والعنصرية وليست ضد الدين، هي ضد تحكم رجال الدين في السياسة.

ستتعرف من خلال الكتاب أنه لا عِلم في ظِل دولة دينية، لا فنَّ في ظِل دولة دينية، لا إبداع في ظِل دولة دينية، مواطنو الدولة الدينية ببساطة أعداء حياة.. أعداء خيال.. أعداء بهجة، ولا يمكن لهؤلاء الأعداء أن يُنتجوا عِلمًا أو يُبدعوا فنًّا.

المؤلِّف من كُتّاب كتيبة التنوير المصرية، وقد منحته دراسة الطب مشرطًا للتشريح والتحليل، ورؤية ثاقبة وقدرة زرقاء اليمامة على الاستشراف والتنبؤ، فرغم أن هناك مقالات كُتبت قبل الثورة إلا أنك تحس أن توقعاته قد حدثت، وكأنه يكتب سيناريو سابق التجهيز، عماد نصر ذكري طبيب يُحاول أن يُجري جراحة للوطن ويرفض أن يكون حانوتيًّا يدفن جثته، مُحب عاشق صبابة لمصر المحروسة، يكتب بدمع المآقي وحبر الشريان عن مصر التي يتمناها والتي تستحق أفضل من خفافيش الظلام، تستحق تغريد العندليب وشجن الكروان وتحليق النوارس.

هل سنظل نجري في المكان؟ نطرح بَديهيات حُسِمَت منذ ألف سنة، نجترُّ أفكارًا تجاوزها الزمن منذ القرون الوسطى، نشرح الشروح ونهمش الهوامش ونكتب عن المكتوب وعليه ولا نتقدَّم خطوة واحدة في سبيل إبداع أو نقد أو تجاوز أو جنون مشروع؟!

الكتاب يطرح أسئلة وعلامات استفهام مثله مثل أي عمل ثوري جاد، أما الإجابة فهي في رحم الزمن الذي نرجو ألّا يلد سرابًا.

أول فصول الكتاب: "في البدء كان"، وفيه تعريف للعلمانية: "العلمانية" هي ترجمة لكلمة "سيكولاريزم" الإنجليزية، وهي مشتقة من كلمة لاتينية "سيكولوم"، وتعني العالم أو الدنيا وتوضع في مقابل الكنيسة، وقد استخدم مصطلح "سيكولار" لأول مرة مع توقيع صلح وستفاليا (عام 1648م) - الذي أنهى أتون الحروب الدينية المندلعة في أوربا - وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة (أي الدولة العلمانية) مشيرًا إلى "علمنة" ممتلكات الكنيسة بمعنى نقلها إلى سلطات غير دينية أي لسلطة الدولة المدنية. وقد اتسع المجال الدلالي للكلمة على يد جون هو ليوك (1817 - 1906م) الذي عرف العلمانية بأنها: "الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض".

و تميز بعض الكتابات بين نوعين: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة.

العلمانية الجزئية: هي رؤية جزئية للواقع لا تتعامل مع الأبعاد الكلية والمعرفية، ومن ثم لا تتسم بالشمول، وتذهب هذه الرؤية إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة، وربما الاقتصاد وهو ما يُعبر عنه بعبارة "فصل الدين عن الدولة"، ومثل هذه الرؤية الجزئية تلزم الصمت حيال المجالات الأخرى من الحياة، ولا تنكر وجود مطلقات أو كليات أخلاقية أو وجود ميتافيزيقا وما ورائيات، ويمكن تسميتها "العلمانية الأخلاقية" أو "العلمانية الإنسانية".

العلمانية الشاملة: رؤية شاملة للواقع تحاول بكل صرامة تحييد علاقة الدين والقيم المطلقة والغيبيات بكل مجالات الحياة، ويتفرع عن هذه الرؤية نظريات ترتكز على البعد المادي للكون وأن المعرفة المادية المصدر الوحيد للأخلاق وأن الإنسان يغلب عليه الطابع المادي لا الروحي، ويطلق عليها أيضا "العلمانية الطبيعية المادية"(نسبة للمادة والطبيعة).

ويعتبر الفرق بين ما يطلق عليه "العلمانية الجزئية" وما يسمى "العلمانية الشاملة" هو الفرق بين مراحل تاريخية لنفس الرؤية، حيث اتسمت العلمانية بمحدوديتها وانحصارها في المجالين الاقتصادي والسياسي حين كانت هناك بقايا قيم مسيحية إنسانية، ومع التغلغل الشديد للدولة ومؤسساتها في الحياة اليومية للفرد انفردت الدولة العلمانية بتشكيل رؤية شاملة لحياة الإنسان بعيدة عن الغيبيات، واعتبر بعض الباحثين "العلمانية الشاملة" هي تجلي لما يطلق عليه "هيمنة الدولة على الدين".

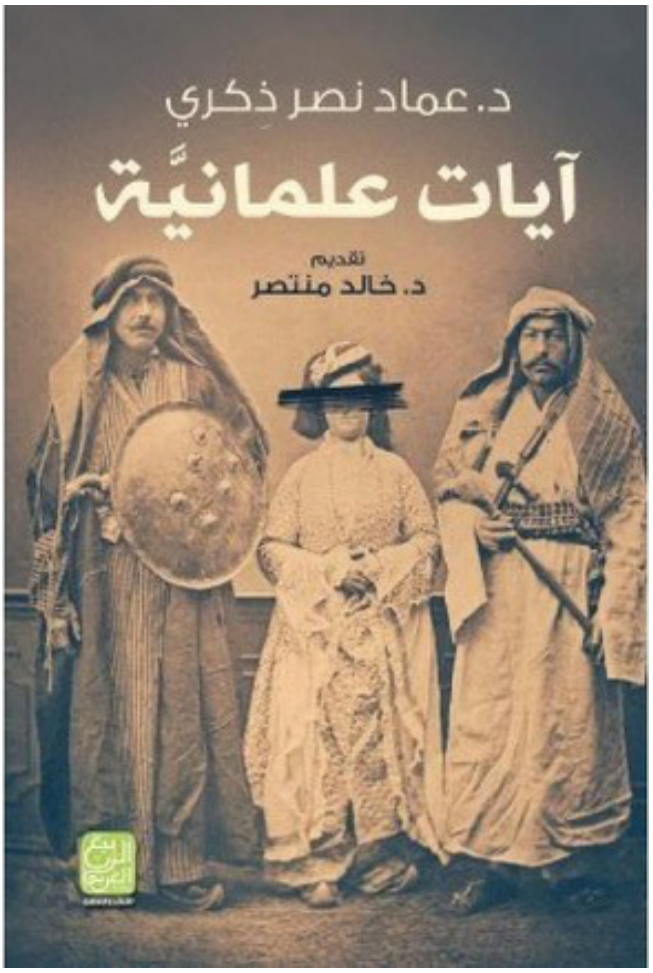

وفي الفصل الثاني "معارك علمانية" يطرح المؤلف قضايا من أهمها: هوامش على دفتر الخلافة، مبادئ الشريعة الإسلامية والحاكمية لله وتعارضها مع الديمقراطية، علاقة الإخوان والإرهاب والنظام السياسي، كما يوضح علاقتهم مع غير المسلمين، البابا شنودة والزواج الثاني، التمييز الديني، التمييز الطبقي، الاستقواء بالخارج، عفوًا د. عمارة.

الفصل الثالث "العلمانية والمرأة" وفيه طرح لأهم قضايا المرأة في المجتمع كتعدد الزوجات، زواج المسلمة من الكتابي، الحجاب وكرامة المرأة، ختان الإناث، الخُلع والنظام الأبوي.

أما الفصل الرابع "رموز علمانية" فيعطي نماذج علمانية أثّرت في الشعوب وأثرت الحضارة الإنسانية في مجالات مختلفة: فرج فودة، سلامة موسى، بناظير بوتو، نزار قباني.

الكاتب يتحدث عن علمانية، متحررة، عقلانية، لا أثر للأصولية الدينية فيها" وعن التحدي الكبير الذي تواجهه مجتمعاتنا التي بعد إنجازها في الربيع العربي تقف على أعتاب ثورة علمية وروحية في تاريخها، لتعود للمسار الطبيعي في حضارتها.

رومانسية الشموع والحطب ومصابيح الكيروسين

إهداء إلى علي الشهابي الفلسطيني، السوري أكثر من سوريين كثر

■ بكر صدقي

اشترينا أخيراً، بعد ممانعة طالت، مصباح الكيروسين، وأمضينا سهرتنا، مساء البارحة، على ضوء اللهب المتراقص لفتيله القطني، ورائحة الاحتراق اللطيفة تملأ الغرفة المغلقة درءً لبرد مطلع الشتاء. نام الطفلان، وعشنا أمهم وأنا سهرةً رومانسية رائقة ذكّرتنا بليالي الشتاء في القرى السورية في الستينات. أصوات القذائف المدفعية القليلة القادمة من أحياء بعيدة، لم تعكر علينا الجو الرومانسي الذي منحنا إياه ضيفنا الجديد مصباح الكيروسين. بل إن أجمل ما في الأمر أن خطي الهاتف الأرضي والخلوي مقطوعان، فلم يشوش علينا خلوتنا رنين جرس أي هاتف في البيت. دار الحديث بيننا بسلاسة لا يقاطعنا شيء. من نعم انقطاع الكهرباء أيضاً أن التليفزيون، بالعدد اللامحدود من قنواته الفضائية بكل لغات الأرض، قد كف عن إشغال أحدنا عن الآخر. حقاً مضى وقت طويل لم نحصل فيه على فسحة لتبادل الحديث. يقال إنه إذا اجتمع الرجل والمرأة معاً، كان الشيطان ثالثهما. الواقع أن الثالث في زماننا كان دائماً التلفزيون أو الانترنت أو التليفون، وليس الشيطان. لحسن حظنا في سهرة البارحة، أن الشيطان الأصلي أيضاً كان في إجازة، فلم يقطع علينا صفو سمرنا أي شيء.

لكن الاحتفال الحقيقي الأكثر صخباً بدخول مصباح الكيروسين بيتنا، إنما جاء من سيزار وديانا. تركا كل ألعابهما ودباديبهما وشؤونهما، والتفا حول هذا الكائن العجيب الذي ملأ الغرفة المعتمة ضوءاً أصفر خافتاً لم يألفاه سابقاً. ابتهجا بصخب وسيل الأسئلة يتدفق على لسانيهما عن اسم هذا الجهاز الغريب، وكيف يشعل، وكيف يطفأ، ولماذا لم نقم بشرائه من قبل، وهل يملك الآخرون مثله، وما السائل الذي يحترق فيه، ولماذا الزجاجة المحيطة باللهب... إلخ. وقرّبا أيديهما الباردة من القسم الزجاجي، فأحسا بالدفء. وقال سيزار: "لقد أصبحت لدينا مدفأة جديدة يا بابا"

ولد ابني سيزار في العام 2003 في وقت كان نصف السوريين فيه يحملون أجهزة الهاتف الخليوي، وفي معظم البيوت خطوط هاتف أرضية، وفي كل بيت تقريباً جهاز تلفزيون مزود بلاقط فضائي، ولدى قسم من السوريين أجهزة كمبيوتر وإمكانية الدخول إلى شبكة الانترنت. وحين ولدت أخته ديانا، بعده بثلاث سنوات، كان الشبان والشابات في سوريا، من أبناء الطبقات الوسطى وما فوق، يتنافسون على امتلاك أجهزة الخليوي الأحدث والأكثر إبهاراً في المظهر والوظائف. حتى أبوها لم يتمالك نفسه عن شراء لاب توب بعدما قضى حاسوبه الثابت بعد عمر طويل، وإذا كان قد صمد طويلاً أمام إغراء اقتناء خط خليوي، فقد انهار صموده بعد عامين على ولادة ديانا، فاشترى جهاز نوكيا بلا كاميرا ما زال يخدمه إلى اليوم بلا أي خذلان.

كان بوسع جيلنا المولود في الستينات أن يفهم أدب القرن التاسع عشر ويتخيل شروط الحياة ومستوى التطور التكنولوجي لذلك العصر بلا صعوبة تذكر. تطورت الطائرات الحربية وغير الحربية كثيراً منذ الحرب العالمية الأولى، لكن مدرك الطائرة المطلق لم يتغير، ومنذ الستينات عايشنا غزو الفضاء، أما التليفون فنعرفه منذ وقت طويل، فلم نشعر بغربة فلكية في الانتقال من الثابت إلى المحمول. حتى السلاح الأبيض الذي كان الوسيلة القتالية الوحيدة قبل بضعة قرون، لم يندثر تماماً بعد اختراع الأسلحة النارية. ما زال الأتراك في القرن الواحد والعشرين يتداولون المثل الشعبي القائل إن "المروءة انتهت بعد اختراع البندقية". قال المتشائمون إن من شأن انتشار التلفزيون أن يقضي على السينما والصحافة الورقية، وإن من شأن انتشار الانترنت والكتاب الالكتروني أن يقضيا على الكتاب المطبوع، لكن هذا وذاك لم يتحققا، وما زلنا قادرين إلى اليوم على قراءة المخطوطات اليدوية في المتاحف، إلى جانب الكتاب المطبوع الذي يتدفق من المطابع بلا توقف.

لا يتخيل جيل سن العشرينات اليوم الحياة بلا سيارة أو تليفون، ولا يمكن لأطفال اليوم أن يفهموا أطفال القرن التاسع عشر الذين لم يعرفوا توم وجيري والمفتش كاجيت، واكتفوا بقراءة القرآن أو الإنجيل أو الأيادة وحفظها على ضوء الشموع. ثمة انقطاع ثقافي هائل سيعيشه المولودون في القرن الواحد والعشرين عن "العصور الغابرة" التي ربما ستبدأ بالنسبة لهم من ستينات الهيبيز وألفيس بريسلي رجوعاً إلى الوراء، ناهيكم عن الشاطر حسن أو كليلة ودمنة. ومنذ الآن تبدو الشيوعية تجربةً آركيولوجية موغلة في التاريخ وخارج التجربة المعاشة بالنسبة للغالبية العظمى من شبان العالم وشاباته الذين تكونت تجربتهم السياسية والثقافية على أرضية العولمة ومناهضتها. هل كان ثمة في برلين حقاً جدار يقسمها إلى قسمين كما تروي الجدات؟

لكن سيزار لن ينسى على الأرجح شيئاً كان يسمى بشار الأسد. فقد عاش هذا الطفل تجارب قاسية ارتبطت في ذاكرته بهذا الاسم. وقبل كل شيء سبب له تمزقاً عاطفياً وضميرياً قاسياً بين تأليهه الذي لقنوه في المدرسة، وكراهية أبويه له. ففي زمن ما اندلعت ثورة "ضد النظام" كما كانوا يقولون، لم تعجب سيزار المشبع بحب بشار الأسد. لكن أبويه اللذين يحبهما سيزار ربما أكثر من حبه لبشار، كانا يعبران عن كرههما لهذا الأخير وتعاطفهما الصريح مع الثورة ضده و"ضد نظامه". إزاء هذا التمزق، اتخذ سيزار سياسة الصمت الحكيمة، من غير أن يعني ذلك أنه غير مهتم بما يجري، أو لا يتابع الأخبار والأفكار المتداولة، وأسماء يوم الجمعة التي يتظاهر فيها معارضو النظام. أخبره أبوه ذات يوم أن بشار هو من أمر باعتقال أمه وحرمانه منها سنة وبضع أشهر، ولم يكن بحاجة لوشاية أخرى من أي شخص ليعرف أن حياة الجحيم التي بات يعيشها بنفسه في البيت إنما سببها تمسك بشار بالسلطة. وقد اقترح، ذات مرة، خطةً لانتقال السلطة، لا تقل براعةً عن خطة كوفي أنان، ولا تقل في خياليتها عن أفكار "معارضة الداخل". بل إن سيزار الذي ضاق ذرعاً بغياب التلفزيون والنزهات من حياته، انضم إلى جوقة العرافين والمنجمين فقال إن النظام سيسقط مع نهاية العام الدراسي الحالي في حزيران 2013.

بركاتك يا شيخ سيزار!

جريدة المستقبل 3 / 3 / 2013

عن الرقة العريقة.. الرقة الخالدة

■ بلال سلامة

تقع محافظة الرقة في أقصى الشرق من سوريا، وتعتبر من أقدم مدن بلاد الشام وأكبر مدن المنطقة الشرقية، تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات قبل التقائه بنهر البليخ بنحو 10كم في الضفة نفسها، مما جعل موقعها يتميز بالخصب ووفرة المياه. وتعتبر الرقة من أهم المحطات التجارية وأكبر مراكز تجمع المحاصيل وتبادل البضائع. منها عبر هولاكو مع جيشه الغازي إلى المدن القريبة، وفيها أقام هارون الرشيد فترات طويلة. تبعد عن مدينة حلب 190كم، وعن دير الزور من الشرق 140كم. بناها الإمبراطور اليوناني سلوقس نيكاتور وأسماها نيكتوريوم وذلك في العصر الهيليني عام ثلاثة آلاف قبل الميلاد، وفي عهد الإمبراطور البيزنطي (457 - 474م) عرفت باسم ليونتوبوليس، وفي عام 639م حررها القائد العربي عياض بن غنم من الحكم البيزنطي. في العصر الأموي تابعت مدينة الرقة ازدهارها فبنى فيها الخليفة هشام بن عبد الملك (724 - 743م) سوقاً تجارياً وشق قنوات وترعا للمياه (الهني والمرى) فانتشرت زراعة الكروم والأشجار المثمرة على ضفاف الفرات. كما بنى مقابل الرقة على الضفة الغربية قصرين نشأت حولهما واسط الرقة، وكذلك أنشأ جسراً على نهر الفرات عند هذا الواسط. وفي العصر العباسي وفي عهد الخليفة الرشيد (786 - 809م) توسعت المدينة شرقاً وشمالاً وازدهرت حتى أن الخليفة الرشيد نقل إدارته إليها مدة عشر سنوات كانت فيها مركزاً لإعداد الجيوش لقتال البيزنطيين ويقال إن الطريق كانت تظله الأشجار من الرقة حتى بغداد واستمر ازدهارها حتى يوم خرابها على يد هولاكو 1258م.

قسّم الجغرافيون العرب الجزيرة استناداً إلى هيمنة القبائل العربية عليها إلى: ديار ربيعة (ومركزها الموصل)، وديار مضر (مركزها الرقة)، وديار بكر (مركزها آمد)، وكانت الرقة وفق هذا التقسيم (ديار مضر) الذين استقروا فيها منذ ما قبل الفتح الإسلامي لإقليم الجزيرة بقرون عديدة.

كان إعمار محافظة الرقة متأخراً نسبياً عن عمران محافظة دير الزور، إذ بدأ التحول من السكن في بيوت الشعر إلى بناء أول بيت طيني-حجري في العام 1880م .تجمع المتحضرون الأوائل الذين أسسوا المدينة في اتحادين محليين هما الأكراد والعشاريون (نسبة إلى العشارة جنوب الميادين). قدموا إلى الرقة لأسباب اقتصادية أو وظيفية أو لأسباب النزاع العشائري، ولكن بصفة عائلات وليس بصفة عشائر. كان هناك عدد من العائلات العربية في حلف الأكراد المنحدر من طي والمليين والدليم. وشكل وجود مخفر الدرك، وتحسن حالة الأمن جاذباً لهم للاستقرار وللجمع بين نمطي الحياة الزراعية في الشتاء والرعوية في الربيع والخريف.

كما أحدث إقبال تجار أورفة وحلب على شراء الأراضي في واديَي البليخ الأسفل والأعلى منذ العام 1881م تغييراً كبيراً في تحويل الزراعة من زراعة الاكتفاء الذاتي المعاشية إلى زراعة تجارية موجهة إلى التصدير، وبات ارتباط الرقة أكثر تشابكاً مع أورفة من خلال تحسين الحكومة لطرق العربات من منبج إلى أورفة، وافتتاح الطريق الجديد عام 1907م. طوّرت الحكومة فضاء البلدة، فافتتحت في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني بعض المدارس الابتدائية فيها. وفي العام 1912م وصل عدد سكان الرقة إلى حوالي (300) عائلة مستقرة حضرياً.

في أواخر العهد العثماني كانت مدينة الرقة تتميز بتنوعها الأثني المركب، وتشير أصول العائلات الأولى التي أسست نواة المدينة، كما الهجرات التي استوعبتها، إلى أن سكان الرقة كانوا مؤلفين من عرب منحدرين من عدة عشائر عربية (بو بدران، عقيدات، مصاليخ شمر، موالي، طيّ، دليم) وقد قدموا من نواحي الموصل ومن بلدة العشارة ومن نواحي أورفة، ومن أكراد ينحدرون من عشيرة المليّة في نواحي أورفة وشرقي ديار بكر، وأتراك ينحدرون من براجيك، وشراكسة وشيشان وأرمن.

مع بدء عهد الانتداب الفرنسي كان هناك عدة قنوات ري كبيرة على امتداد بضعة كيلومترات عن البليخ .وبفضل ذلك وصل عدد قرى الرقة في غضون عقدين ونيف إلى (148) قرية.

أقفرت الرقة بسبب عوامل شتى كالزلازل والأمراض الجائحة, والعوامل السياسية كالحروب والفتن, فأصبحت الرقة منفى إجبارياً للمنشقين والعصاة والمعارضين. وعن هذا كتب آرتين مادويان (أحد قادة الحزب الشيوعي السوري اللبناني الذي يذكر في مذكراته قصة نفيه إلى الرقة في عهد الانتداب الفرنسي مع زملائه في العام 1926م): "وصلنا إلى الرقة في ساعة متأخرة أخذونا إلى مركز للشرطة بقيادة ضابط فرنسي سلمنا بدوره إلى رئيس بلدية الرقة الذي قادنا إلى خان الشيوخ ووضعنا في غرفة تعج بالعناكب قائلاً (دبروا أنفسكم), أخذنا نتجول في المدينة فتعرفنا إلى بعض الأرمن, وبمساعدتهم استأجرنا غرفة لتمضية فترة الصيف لحين عودة أصحابها, وكنا نزور يومياً مكتب المسؤول الفرنسي لتأكيد وجودنا, وبدأنا نعاني صعوبات مالية, خاصة مع تقلص المبلغ المتواضع الذي كنت قد حملته, طعامنا الأساسي كان اللبن مع المقثى (القثاء), قدمنا رسالة احتجاج إلى المفوض السامي الفرنسي طالبين منه أن يؤمن لنا وسيلة العيش. وبعد انقضاء شهرين بدأنا نتسلم من السلطة المحلية في الرقة ستين قرشاً يومياً لكل شخص, من هذا المبلغ كنا نقتصد شهرياً خمس ليرات وندفعها لصندوق الحزب". وعن تعاون أهل الرقة يقول: "في الواقع كانت رقابة الفرنسيين شبه معدومة, أما مركز البريد فقوامه غرفة واحدة بإدارة موظف واحد متقدم في السن ولا يلم بالفرنسية, وكان بحاجة لمساعدتنا كي نقرأ له عناوين الرسائل المكتوبة بالفرنسية, ولم يكن محباً لفرنسا. وبفضل صداقتنا له كنا نعرف موعد وصول البريد ونتسلم جميع الرسائل والصحف والمطبوعات الموجهة إلينا لحظة وصولها إلى المركز, يتردد العجوز أحياناً لكنه في النهاية يسلمنا المطبوعات كلها".

ومن الأحداث الهامة التي جرت في الرقة مع بداية القرن الماضي صدور أعداد جريدة سبارتاك الأولى من الرقة, وعن ذلك يقول مادويان: "بعد أن تسلمنا ورقاً للطباعة الجلاتينية أصدرنا عددين من جريدة سبارتاك, صدر الأول في كانون الثاني عام1927م بمناسبة ذكرى الثورة الروسية الأولى عام 1905م, و صدر الثاني في أواخر كانون الثاني من العام نفسه بمناسبة ذكرى وفاة لينين وكان عنوان العدد الثاني "مات لينين فلتحيا اللينينية"، ونشرت الجريدة مقالاً مكتوباً بعث به الرفيق فوسفان هوفانسيان من بيروت, ومقالاً حول إضراب عمال النسيج في حمص وحلب, أرسلنا جميع أعداد سبارتاك إلى حلب, كما استطعنا إرسال قسم منها إلى بيروت".

تشتهر الرقة بأسوارها وآثارها، حيث يبلغ امتداد أسوارها خمسة كيلومترات وكان سورها مزدوجاً بين طرفيه فصيل, وتدعمه أبراج بلغ عددها 74 برجاً لم يبقى منه سوى ستة أبراج تم ترميمها ويبلغ محيط كل منها 15-16م. ومن أهم آثار الرقة نذكر:

باب بغداد: من أهم آثار سوريا, ويقع في الزاوية الجنوبية الشرقية على السور الخارجي, وعرض الواجهة 7.57 م, بارتفاع 5.20 م, محاذياً لبرج متّصل بالسور, وفتحة الباب بارتفاع 2.5 م, تعلوها قنطرة ذات قوس مكسور. وعلى جانبي الباب, حنيتان زخرفيتان, ويعلو هذه الواجهة أفريز عريض مؤلف من صفين من الحنيات السفلى, تتلوها أقواس نصف دائرية. والحنيات السفلى تعلوها أقواس مفصصة ثلاثية, ويحيط بالأفريز إطار بارز. وينفتح الباب من الداخل إلى دركاه ضمن صيوان بعمق متر, كانت تعلوه قبة.

قصر البنات: يقع في الجهة الشرقية الجنوبية من الرافقة وضمن أسوارها, لم يبقَ منه إلا الأطلال الضخمة, يعود إلى القرن الثاني عشر, ويبدو أنّ الأطلال في ذلك الوقت كانت أكثر ارتفاعاً بما يقرب من عشرة أمتار. ابتدئ بأعمال التنقيب والترميم في هذا القصر ضمن نطاق المشروع الاستثنائي في الرقة. ومنذ العام 1976، تأكد من خلال دراسة الخزف الذي عثر عليه, أنه يعود إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر, أي إلى العصر الأيوبي, وهذا يؤكد ما جاء على لسان المؤرخين؛ أنّ هذا القصر لم يسكن بعد العصر الأيوبي, ومن المؤكد أنه هجر بعد حريق هائل شبّ فيه. يتألف هذا القصر من باحة مركزية تطل عليها أواوين أربعة, ويفتح في الجنوب مدخل رئيسي يقابله في أقصى الشمال صالة يخلفها حجرة إلى جانبيها حجرتان, وتطل الصالة على باحة ورواقين, ويمتدُ القصر شرقاً وغرباً تحت الشوارع القائمة, ولم تكتمل عمليات الكشف لهذا السبب. لقد أصبح القصر واضح المعالم بعد أن أعيدت الجدران والفتحات والأروقة إلى وضعها الأصلي.

قلعة جعبر: تقع في منطقة الجزيرة السورية على الضفة اليسرى لنهر الفرات على بعد خمسين كيلو متراً من الرقة. وتقوم القلعة على هضبة مشرفة على بحيرة الأسد 1974م, وهي قلعة ذات سورين يضمّان عدداً من الأبراج تزيد على خمسة وثلاثين برجاً, بعضها مضلع والبعض نصف دائري. وأكثرها مهدم أو زائل. وفي وسط القلعة مسجد بقيت منه مئذنة. وتضمّ أيضاً عدداً من المباني لم يبقَ إلا أثرها. تنسب القلعة إلى جعبر سابق القشيري, أخذها منه السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان 379هـ/ 986م. ويقال إنّ القلعة كانت مسبوقة بقلعة أنشأها دوسر غلام النعمان بن المنذر ملك الحيرة قبل الإسلام. ولقد تمّ ترميم مداخل القلعة التي أصبحت فوق جزيرة وسط بحيرة سد الفرات، وتبلغ أبعادها 320م×170م ويحيط بها سوران. وفي وسط القلعة شُيِّد الجامع, ومازالت مئذنته شامخة بعد أن تمّ ترميمها. وفي أقصى الجنوب مازال هناك برج تمّ ترميمه وحوّل إلى متحف لآثار القلعة. وأصبح يضمّ الاكتشافات التي تمّ اكتشافها في القلعة وفي منطقة الغمر من أوانٍ وكتابات. وبعض الآثار المنقولة التي عثر عليها في القلعة نقلت إلى متحف حلب. ويذكر أن نور الين زنكي اغتيل في هذه القلعة أيضاً.

ونذكر أخيراً أهم الشخصيات التي قدمت الى الرقة أو ولدت فيها: (مسلمة بن عبد الملك) وله حصن, و(ابن تيمية) الفقيه المعروف المولود في باجدة (سلوك) حالياً, و(ربيعة الرقي الشاعر المعروف), و(عبد الحميد الكاتب) وهو كاتب الدولة العباسية الأهم فقد ولد في الرقة الحمراء (الحمرة اليوم), و(محمد ابن أبي الحسن الشيباني) حيث كان يرافق الرشيد كرئيس للقضاء وهو تلميذ أبي حنيفة النعمان ومطور مذهبه, وقد زار الرقة أبو تمام والبحتري والصنوبري شاعر الطبيعة الأهم في الشعر العربي.

المرسوم التشريعي رقم 3 القاضي بمنع الاتجار بالأشخاص

■ ياسر مرزوق

يعد الاتجار بالأشخاص أكبر تجارة غير شرعية في العالم، حيث تقدر منظمة العمل الدولية أرباح استغلال النساء والأطفال جنسياً بحوالي 28 مليار دولار سنوياً، كما تقدر أرباح العمالة الإجبارية بحوالي 32 مليار دولار سنوياً. وتجدر الإشارة إلى أن اللاجئين عرضة بوجه خاص للاتجار بالبشر» وأضافت: إن الهجرة طويلة الأمد والغموض الذي يكتنف وضع اللاجئين إضافة إلى الضغط المالي المتزايد يمكن أن يؤثر سلباً على مدى وشدة العنف الجنسي والعنف القائم على نوع الجنس

وعادة ما يجهل ضحايا الاتجار مشاركتهم بهذا الجرم، وهناك خلط بين الدعارة والاتجار بالأشخاص، وفرق بين التبرع بالأعضاء والاتجار بالأعضاء، بين العمل المنزلي المشروع والعبودية المنزلية اللاإرادية، حيث يقع خدم المنازل في شباك العبودية من خلال استعمال القوة أو الإكراه، ومن الصعب اكتشاف حالات العبودية المنزلية لأنها تحدث في منازل خاصة لا تخضع في أحيان كثيرة لتنظيم من جانب السلطات العامة، وبهذا يكون وضع خادمات المنازل أكثر صور هذا الاتجار نموا وانتشارا.

كما أنه من المؤكد أنه ليس هناك من يطلب أن يصبح عبداً أو ضحية للاتجار، لكن هؤلاء الضحايا كثيراً ما يجندون بواسطة إعلانات زائفة تعد بوظائف مشروعة كمضيفين أو خدم وعمال في الصناعات الزراعية، ويأتي ضحايا هذه التجارة بجميع أشكالهم من أماكن ريفية وحضرية ومن ضواحي المدن بحثاً عن أمل.

ويهدف هذا المرسوم التشريعي إلى:

1 - منع ومكافحة الاتجار بالأشخاص وإيلاء اهتمام خاص للنساء والأطفال ضحايا هذا الاتجار.

2 - حماية ضحايا الاتجار ومساعدتهم وتقديم الرعاية المناسبة لهم واحترام كامل حقوقهم الإنسانية.

3 - تعزيز التعاون الدولي في مواجهة مرتكبي جرائم الاتجار بالأشخاص.

4 - إيجاد أساس تشريعي لثقافة اجتماعية تسهم في الوقاية من هذه الجريمة وتحسن التعامل مع آثارها.

أما عن التجريم والعقاب:

1 - يعد اتجارا بالأشخاص استدراج أشخاص أو نقلهم أو اختطافهم أو ترحيلهم أو إيوائهم أو استقبالهم لاستخدامهم في أعمال أو لغايات غير مشروعة مقابل كسب مادي أو معنوي أو وعد به أو بمنح مزايا أو سعيا لتحقيق أي من ذلك أو غيره.

2 - لا يتغير الوصف الجرمي للأفعال المذكورة آنفا سواء كانت باستعمال القوة أو بالتهديد باستعمالها أو باللجوء إلى العنف أو الإقناع أو استغلال الجهل أو الضعف أو بالاحتيال أو الخداع أو باستغلال المركز الوظيفي أو بالتواطؤ أو تقديم المساعدة ممن له سلطة على الشخص الضحية. وفي جميع الحالات لا يعتد بموافقة الضحية.

و يعد بحكم الاتجار بالأشخاص الاستخدام الجنسي للطفل بأي من أشكال الممارسة أو بتصوير أعضائه الجنسية أو بالعروض الداعرة الإباحية لقاء أيشكل من أشكال العوض مباشراً أو غير مباشر ويعاقب بالعقوبة ذاتها المنصوص عليها في المادة (7) من هذا المرسوم التشريعي مع التشديد المقرر في المادة (8) أيضا.

المادة (6): يكون الجرم ذا طابع دولي إذا:

1 - ارتكب في أكثر من دولة.

2 - جرى الإعداد أو التخطيط له أو توجيهه أو الإشراف عليه في دولة وارتكب في دولة أخرى.

3 - ارتكب في دولة واشتركت في ارتكابه جماعة إجرامية تمارس أنشطتها في أكثر من دولة.

4 - ارتكب في دولة وله آثار في دولة أخرى.

5 - ارتكبه أشخاص من جنسيات مختلفة.

المادة (7):

1 - لا تخل أحكام هذا المرسوم التشريعي بتوقيع أي عقوبة أشد منصوص عليها في القوانين النافذة.

2 - يعاقب بالاعتقال المؤقت لمدة لا تقل عن سبع سنوات وبغرامة من مليون إلى ثلاثة ملايين ليرة سورية كل من:

أ - ارتكب أيا من جرائم الاتجار بالأشخاص المعرفة في المادة الرابعة من هذا المرسوم التشريعي.

ب - أنشأ أو نظم أو أدار جماعة إجرامية تعمل على ارتكاب جرائم الاتجار بالأشخاص أو تولى دورا فيها أو دعا للانضمام إليها.

3 - يحكم بمصادرة:

أ - العائدات المتأتية من الجرائم المشمولة بهذا المرسوم التشريعي.

ب - الممتلكات أو المعدات أو الأدوات التي استخدمت أو أعدت لاستخدامها في تنفيذ جرائم مشمولة بهذا المرسوم التشريعي.

المادة (8): مع مراعاة حالات التشديد الواردة في النصوص الجزائية النافذة تشدد العقوبات وفقا لأحكام التشديد الواردة في قانون العقوبات العام في كل من الحالات التالية:

1 - إذا ارتكبت الجريمة ضد النساء أو الأطفال أو بحق أحد من ذوي الاحتياجات الخاصة.

2 - إذا استخدم مرتكب الجريمة سلاحا أو هدد باستخدامه.

3 - إذا كان مرتكب الجريمة زوجا للمجني عليه أو أحد أصوله أو وليه أو كانت له سلطة عليه أو كان موظفا من موظفي إنفاذ القانون.

4 - إذا ارتكب الجريمة أكثر من شخص أو كان الفاعل عضوا في جماعة إجرامية.

5 - إذا كانت الجريمة ذات طابع دولي.

المادة (9): يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين وبغرامة من مئة ألف إلى مئتي ألف ليرة سورية كل من:

1 - علم بارتكاب جريمة من الجرائم المنصوص عليها في هذا المرسوم التشريعي ولو كان مسؤولاً عن المحافظة على السر المهني أو حصل على معلومات أو إرشادات تتعلق بها بصفة مباشرة أو غير مباشرة ولم يعلم الجهات المختصة في الوقت المناسب مقابل تحقيق منفعة مادية أو معنوية.

2 - علم بواقعة الاتجار وانتفع ماديا أو معنويا من خدمات الضحية.

كما يعاقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من مئة ألف إلى مئتي ألف ليرة سورية كل من انضم إلى جماعة إجرامية هدفها أو من بين أهدافها ارتكاب جرائم الاتجار بالأشخاص مع علمه بأغراضها.

و يعاقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من مئة ألف إلى ثلاثمائة ألف ليرة سورية كل من تدخل للتأثير على الشهود أو أي شخص معني بإنفاذ أحكام هذا المرسوم التشريعي سواء كان ذلك باستخدام القوة أو التهديد بها أو وعد بمزية أو منحها للتحريض على الإدلاء بشهادة زور أو تدخل للتأثير في تقديم الأدلة المتعلقة بارتكاب أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا المرسوم التشريعي.

و يعاقب بعقوبة الفاعل كل من المحرض والشريك والمتدخل في أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا المرسوم التشريعي. كما يعاقب على الشروع بعقوبة الجريمة التامة في أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا المرسوم التشريعي. و يعفى من العقوبات المقررة للجرائم المنصوص عليها في هذا المرسوم التشريعي كل من بادر من الجناة أو الشركاء أو المتدخلين إلى إبلاغ الجهات المختصة بمعلومات من شأنها تمكين السلطات الإدارية أو القضائية من اكتشاف الجريمة قبل البدء بتنفيذها أو الحيلولة دون إتمامها. و تخفف العقوبة وفق أحكام قانون العقوبات إذا تمت الجريمة وأدت تلك المعلومات إلى ضبط مرتكبيها الآخرين.

هذا وتتخذ السلطات المعنية التدابير الكفيلة بتوفير الحماية المناسبة لضحايا الاتجار وتؤمن لهم متطلبات المساعدة على التعافي الجسدي والنفسي والاجتماعي بالتعاون عند المقتضى مع المؤسسات الرسمية والمنظمات الشعبية والنقابات والجمعيات الأهلية ذات الصلة. و يراعى في هذه التدابير:

أ - تواجد العنصر النسائي عند إجراء التحقيقات الخاصة بضحايا الاتجار من النساء.

ب - عدم احتجازهم في منشآت لا تتناسب مع وضعهم كضحايا جرائم.

ج - حصولهم على الرعاية الطبية الجسدية والنفسية وما يلزم من المساعدة المادية.

د - السرية وعدم الكشف عن أسماء الضحايا وأماكن رعايتهم وعدم الإفصاح عن المعلومات التي تعرف بهم أو بأفراد أسرهم.

هـ - تقديم المشورة والمعلومات خصوصاً فيما يتعلق بحقوقهم القانونية وبلغة مفهومة للضحية.

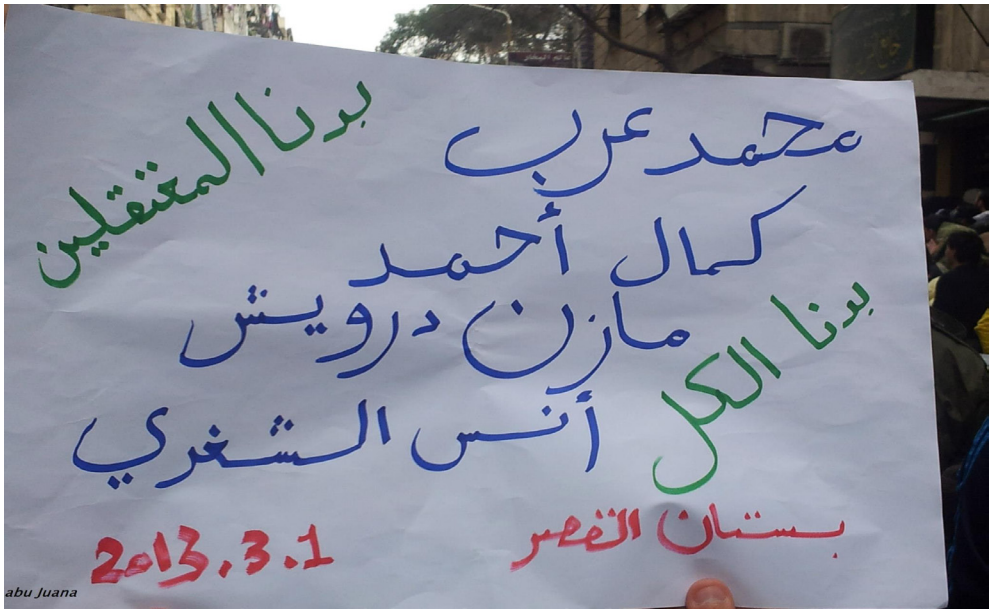

رسالة إلى جبهة النصرة

■ د. جمال صبح

(كتبت هذه الرسالة منذ أسابيع طويلة، ولم يقدر لي نشرها لأسباب متعددة، ولم أغيّر فيها شيء)

إلى السادة في جبهة النصرة الأكارم، أسعد اللّه أوقاتكم:

بداية أودّ أنّ أعرفكم بنفسي بشكل مقتضب: أنا أخصائي في علم النفس، أعتبر نفسي من أبناء هذا الشعب الذي قرر الثورة على الإستبداد الأسدي بعد عقود من الإرهاب الممنهج، الذي لم يسلم منه أحد، حتى لو بدت الصورة عكس ذلك. لا أعتبر نفسي ناشطا ثوريا ولست أتبع لأيّ حزب أو تنظيم أو جماعة سياسية أيا كانت ولا يبدو أنني سألتحق بأي تنظيم سياسي ما حتى ترجع النفس إلى مؤتمنها. لم أكن يوما من الأيام لا بعثيا ولا إخوانيا، لا شيوعيا ولا ليبراليا، وما كنت لأخجل إن كنت أتبع لتنظيم سياسيّ ما. أقيم في ألمانيا منذ عشرّ سنوات وأعمل في العلاج النفسي مع مرضى الأذيات الدماغية وضحايا الحروب والصدمات النفسية التي تخلفها. أتكلم من موقعي المتواضع كداعم مبدئيّ لثورة الشعب السوري العظيمة، وأعمل ما أستطيع للدفاع عنها وعن المتضررين من بطش السّفاح وزبانيته اللئام، خاصّة من النساء والأطفال والمعاقين وذوي الإحتياجات الخاصّة. ورسالتي هذه لكم هي جزء من واجب إنساني ووطني أملاه عليّ ضميري ولاشيء سوى ذلك

أصارحكم الحديث بأن هناك مشكلة تتعلّق بالتواصل معكم، فأنتم لم تعلنوا عن ولادتكم بطريقة واضحة وليس لديكم صفحة أو سبيل معين لتتواصلوا مع جمهور في أرض تتواجدون وتعملون حيث يقيم، مع أنه يبدو أنّ لديكم فريق إعلامي على قدر لا بأس به من المهارات. كثير من المهتمين بالثورة يتابع أخباركم بكل شغف وأنا واحد من هؤلاء. المسألة ليست في التواصل فحسب بل هي أبعد من ذلك. منذ الإعلان عن أوّلى عملياتكم العسكرية ضد أحد أجهزة أمن النظام حتى يومنا هذا، لا يبدو أنّكم تعيرون أمثالي إهتماما بالتواصل والإعلام، وهذا ما يزيد من أزمة الثقة بين قطاع عريض من متابعيكم وبينكم من جهة، ويغذي جملة من الإشاعات والتكهنات التي رافقت ولادة تنظيمكم ودوركم الفاعل في الثورة السورية من جهة أخرى. أمثالي مثلا لا يعرفون مثلا من أنتم وماهو مشروعكم السّياسي وأهدافكم بالضبط، وما يرشح من معلومات لا يفيد إلا في زيادة الصورة غَبَشا حول تنظيمكم وبشكل قد يلحق أذىً كبيرا بصورتكم التي بدأت تلمع في سماء مضطربة من الروايات. وكما تعلمون بأنّ العقود الأخيرة من الإستبداد والطغيان حرم قطاعات كبيرة من شعبنا من التواصل مع بعضه البعض إلا من خلال نشاطات وهياكل "خشبية" لا همّ لها إلا ضمان استمرار أحاسيس الخوف والرعب من النظام وأجهزته بالإضافة إلى تلميع صورة الدكتاتور الطاغية، الأب والإبن، من أجل ضمان الولاء والركوع بالإجبار والإكراه. تجارب التاريخ تعلّمنا بأن كل التنظيمات والحركات المنغلقة التي لا تعرّف عن نفسها تثير الكثير من الحذر والريبة والشك، بغض النظر عن طبيعة الأهداف التي يمكن أن تكون سامية لا شك

تصّورا بأنّ أطرافا عديدة قد إتهمتكم بأنكم "عملاء" للنظام وبأنكم مخترقون من قبل أجهزته الأمنية، أو من قبل أطراف ثالثة عل علاقة بالنظام. أصحاب هذه الحجة يقولون بأن النظام المجرم كان في ورطة كبيرة وكان لزاماً عليه أن يدعّم روايته حول وجود العصابات المسلّحة التي أصبحت "إرهابية" وتتبع لتنظيم القاعدة "المعروف" وهو لا يقوم إلا بمحاربتها نيابة عن الجميع. لا أشك أنّكم تعلمون مدى الحساسية التي يثيرها كل ما يتعلق بتنظيم القاعدة والجماعات الإسلامية لدى صانعي القرار العالمي، خاصّة عند الدول الغربية، بما في ذلك تلك الدول والأنظمة التي لا تكنّ ودّا للأسد ونظامه. وهكذا يحاججون أصحاب هذه الفرضية بأن ظهوركم إرتبط بسعي النظام إلى اللعب على ورقة خطر التنظيمات الإسلامية المتطرفة كمسعىً أخير لإنقاذ رأسه من لهيب الثورة العاتي والممتد يوما بعد يوم. بالمقابل، هناك من يدافع عنكم ويقول بأن هناك "جبهتين نصرتين"، واحدة أسّسها ورعاها وإخترقها النظام للأسباب التي ذكرتها، والأخرى هي التنظيم الذي أنُشأ في ظروف خاصّة من عمر الثورة، وهذه الأخيرة هي التي أصبحت الآن القوة الضاربة الأكبر في مسار الثورة العسكري. لا أخفيكم بأنه في غياب تام لكم عن التواصل مع الناس والإعلام تبدو الصورتين أقرب إلى الواقع بنفس الدرجة، على الأقل عند متابع بسيط مثلي. هذه نقطة يجب عليكم إعادة النظر فيها على أية حال

هناك الكثير من الأخبار الواردة من الوطن تفيد بأن "جبهة النصرة" هو التنظيم الأكثر إلتزاما وثباتا وأمانة في كثير من الأمور، أهمّها فيما يتعلق بإحتياجات أهلنا من المدنيين في ظل تردي الأوضاع الإنسانية إلى مستويات كارثية. فرجال "النصرة" لهم صيت حسن في مناطق عدّة من ريف حلب وإدلب ودمشق في تأمين ما يحتاجه بعض المحاصرين من غذاء ودواء ووقود. نظافة كفّكم ورتابة تنظيمكم أشعر الكثير بالراحة في ظل شيوع حالات كثيرة عن سرقات ولصوصية وإنتهاكات تقوم بها كتائب محسوبة على الجيش الحر للأسف. إلا أن الصّورة الأكثر رواجا عند المتابعين هي قوّة الشكيمة والإقدام التي يتمتّع بها رجالكم. فعملياتكم العسكرية توصف بأنها الأقوى والأصعب والأكثر إيلاماً للنظام، رغم بعض المآخذ على الطابع العنيف لبعض ما نسبت إليكم منها وقيل بأنّ مدنيين أبرياء قد أزهقت أرواحهم خلالها. ورغم هذه الصورة الإيجابية هناك أيضا بالمقابل ما يدحّضها أو يشوهها بقدر أو بآخر. ففي بعض المناطق يقال بأنّكم تحتكرون توزيع بعض المواد الأولية كالطحين والوقود وبأنكم تحصلون عليه بطرق عديدة، سواءً من بعض داعميكن في الخارج، أو من خلال عمليات السيطرة على أماكن كانت خاضعة لقوات النظام، وبأنكم تقومون بالضغط على مدنيين وعسكريين في مناطق وجودكم وذلك للحصول على الولاء والبراء لكم. مرة أخرى، عندما لا يكون هناك مجالا للحصول على المعلومات من قبلكم بشكل مباشر، سوف ترتع الروايات والأحاديث هنا وهناك، وهذا ما قد يزيد من تناقضات الواقع ويزيد من الإتجاهات السلبية بحقّكم، بغض النظر عن صدقية الأمور الحاصلة على الأرض

أصبحتم وباقي المجموعات القتالية في سوريا مالئي الدنيا وشاغلي الناس، خاصّة في العالم الغربي حيث أقيم، إذ غالبا ما تصل أخباركم عن طريق فيديوهات منتشرة على اليوتيوب عن العمليات التي تقومون بها أو التي "يُقال" أنكم تقومون بها وهي غالبا ما تبدو عنيفة بشكل غير مسبوق، ويتم إبرازها على أنها عمليات "إرهابية" تستهدف مدنيين لأسباب سياسية، حتى ولو كان جزء كبير منها ضد قوات النظام المجرم. غالبا ما تترافق هذه الصور مع أعلام سوداء مكتوب عليها عبارة "لا إله إلا اللّه، محمدٌ رسول اللّه". وبغض النظر عن دلالة هذه العبارة في تراثنا الديني ومعناها الذي يبدو "بديهيا" إلا أنّها ترتبط إرتباطا وثيقا بتنظيم "القاعدة" ذائع الصيت. لكم الحق طبعا في رفع الرايات التي تتفق مع أفكاركم وإتجاهاتكم، ولنا الحق في قول "كلمة حق" فيما نراه عملا يستوجب المسائلة، خاصّة بعد التضحيات الكبيرة التي دفع أكلافها شعبنا، وأنتم جزء منه، بكل تأكيد. في هذا العالم المعولم تلعب الصورة دورا كبيرا ومهما في تثبيت المعلومات عن أي حدث أو سياق، ولهذا فالصور لا يمكن تجاهلها، حتى وإن بدت لا أهداف لها. أقول لكم بكل تأكيد بأن رفعكم للرايات السود هذه قد أضر بقضيتكم وقضية الشعب السوري العادلة في صراعه المرير مع نظام شرس وعنيف كالنظام الأسدي. لن أسائلكم عن عدم رفعكم أعلام الثورة السورية التي إرتضاها آلاف المتظاهرين في مواجهتهم رصاص الغدر الأسدي بكل شجاعة وإقدام على إمتداد كامل التراب السوري، فهذا يبقى شأنكم ويمكن تفهم أسبابه التي أجهلها، إلا أنني أجد من واجبي تنبيهكم إلى أن تذكير العالم برموز تنظيم "القاعدة" ولو عن غير قصد، قد أضر كثيرا بسمعة الثورة السورية المجيدة، وأذهب بما تبقى من تضامن شعبي عالمي نحتاجه دائما، حتى ولو كان ضئيلاً، في ظل تجاهل مريب لمعاناة الشعب السوري في ثورته اليتيمة هذه

رغم كل ماجرى، لا أعتقد بأن تنظيم القاعدة وقضاياه هي جزء من القيم والمبادىء التي خرج بها المتظاهرون الأوائل وأتمّها الثوار ومقاتلو الجيش الحر على مدار الثورة السورية المجيدة.

لست في وارد سرد الأخطاء القاتلة التي وقع فيها التنظيم في أكثر من بقعة من العالم، إلا أنني لا أجد بدّا من تذكيركم بأنّ التجربة لم تحمل سوى المآسي لأعضائها وللمجتمعات التي كانت مسرحا لنشاطاتها القتالية، بما فيها العراق. ولم تسفر هذه التجربة إلا عن زيادة كبيرة في تشويه صورة الدين الإسلامي والمسلمين في أربع جهات الأرض، فضلاً عن زيادة التوتّرات المذهبية والسياسية في المجتمعات الإسلامية، التي لم تسلم هي الأخرى من تبعات المضيّ في هذا الطريق، وصل بعضها حدّ الإحتلال العسكري المباشر من قوى غربية عاتية أنتم أعلم بها. من جهة أخرى ليس من مصلحتنا معاداة أي طرف أو دولة كانت. وأقول لكم بكل صدق بأننا بحاجة إلى كل دول العالم من أجل القدرة على إعادة بناء ما دمّرته اليد الغاشمة وهذا لا يعيبنا بشيء. يكفي أن أذكر بأنّ ألمانيا بكل جبروتها قد أعيد بنائها بأموال من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين الذين دمّروها عشية الحرب العالمية الثانية (مشروع مارشال)

والآن آتي إلى مسألة مهمّة للغاية أود طرحها عليكم. الصورة الغائمة عن مشروعكم السياسي وأهدافكم شجّعت على التكهنات والقياس على تجارب أخرى يبدو العراق أقربها، بالنسبة لي على الأقل. سمعت كثيرا عن أنّ من يلتقيكم يؤكد سعيكم إلى قيام دولة إسلامية في سوريا تحكمها الشريعة التي ترونها الحقّة وبأنّكم تسعون إلى إعادة منهج "الخلافة" الإسلامية. هذه النقطة إن صدّت يجب أن تعالج من قبلكم بطريقة أكثر إقترابا للواقع الذي نعيش فيه مع الأخذ بعين الإعتبار تجارب الشعوب والدول التي حولنا في هذا العالم. فيما يخص الدولة الإسلامية يحضرني أمثلة صارخة في التناقض، السودان، المملكة السعودية وإيران من جهة، تركيا، ماليزيا وإندونيسيا من جهة أخرى. في الأولى قيل لنا أيضا أنهم أشاؤا دولا إسلامية تطبق فيها الشريعة، إلا أنّ تجارب هذه الدول تشير إلى أنّها لم تستطيع تحقيق شيئا مهمّا في مجالات عدّة لاداعي لذكرها، بينما غاب عن قادتها شيء غايّة في الأهمية، أعني "المقاصد العليا للشريعة" وأولها العدل بكل طبقاته. ورغم تقدّم هذه الدول في بعض المجالات (إيران مثلا) إلا أنها ما تزال ترزح تحت إستبداد سياسي وديني وإجتماعي كبير، يحرم فيه قطاع واسع من أبنائها من حقهم في التوزيع العادل للثروة، كما أنّ هناك إضطهادا كبيرا تعاني منه بعض الطوائف الدينية التي تشكل نسبة لا بأس بها من هذه المجتمعات (الشيعة في السعودية، السنّة في إيران مثلاً)، بالإضافة إلى سجلّ لا يفخر به بالنسبة للحريات والحقوق الإنسانية التي لم تعد حكراً على دين أو مجتمع معين. بالمقابل نجد بأن الأمثلة الأخرى من البلدان الإسلامية فيها قدر كبير من التطور، وفي جميع المجالات، إبتداءً بالتصنيع وإنتهاءً بالنظم السياسية التي وصلت إليها هذه

المجتمعات. خذوا تركيا مثلاً، فقد حققت طفرة إقتصادية خلال عقدين من الزمن وأصبحت دولة تبلغ فيها مستويات النمو درجات مثيرة، إستفاد منها قطاع كبير من الشعب التركي الذي يبلغ تعداده أكثر من 80 مليون نسمة. ماليزيا خطت هي الأخرى إقتصاديا وسياسيا، خطوات مليئة بالنجاحات، وأعلت من مستويات التعليم والصحة بدرجة أبهرت العالم. أرى بأن في هذه البلدان قد تمّ العمل على المقاصد العليا للشريعة الإسلامية من "نفيً للضرر ورفعه وقطعه" ومن "حفظ للدين والنفس والعقل والنسل والمال"، دون الإضطرار إلى الإجبار والإكراه، وفرض التصورات الدينية للشريعة بالقوّة، فيما تزدهر فيها بيوتات اللّه بالمؤمنين وغيرهم، كذلك ينعم فيها أبنائها من غير المسلمين بإستقرار ودرجات لابأس بها من الحريات، في العقيدة والممارسة

أنتقل الآن إلى موضوع "الخلافة" و"الخلفاء". من خلال قرائتي للمراجع المعتمدة في تراثنا الإسلامي والعربي، لم أعثر على خلفاء مسلمين "عادلين" قدّموا لمجتمعاتهم مافيه خيرٌ للعباد إلا استثناءات قليلة، لعلّ أبي بكر وعمر أبرزها. أغلب من قرأت عنهم جاء إمّا بالتوريث أو بالقوة ونحّى من قبله وعمل ما عمل. بغض النظر عن إختلاف الزمان والمكان، أجد بأنّ مفهوم "الخليفة" ليس مفهوما ثابتا وجامدا ولا يعتبر إعطاء هذا اللقب لأحد ما مجرد "صك" للبراءة والتحكم بمقدرات العباد من المجتمع، سواءً كانوا مسلمين أم غير مسلمين. بعض الخلفاء قتلوا بعضهم البعض، وكان هناك صحابة رسول اللّه بينهم. لا أعتقد بأن طلحة والزبير كانا أقل تديناً من علي بن أبي طالب، ومع ذلك فقد قتلا في موقعة راح فيها الكثير من المسلمين. فيما لا تزال أصداء معارك علي ومعاوية يرجع صداها حتى يومنا هذا، مع أن الأول حبيب رسول اللّه، والثاني أحد كتبة الوحي المشهودين. لقد كان هناك صراعاً دنيويا-سياسيا، لم يكن الجانب الديني منه إلا الهامش. ولا أنكر عليكم شدّة إندهاشي وحزني عندما أعرف أن مكة نفسها كانت قد أحرقت وقصفت بالمنجنيقات أكثر من مرة، وذلك في صراعات الخلفاء المسلمين، أبناء الصحابة الأوائل وغيرهم (قصة يزيد وعبد اللّه بن الزبير مثلاً). طبعا لا أريد أن أطول وأسرد من الأمثلة عن عصور وفترات لاحقة تؤكد بأن "أزمنة الخلفاء" لم تكن على تلك الصورة من البهاء التي اعتدنا على حفظها في الذاكرة دون تمحيص. من المهم هنا التأكيد على أنّ هناك أيضاً أمثلة ناصعة على فترات ذهبية كان فيها بعض الخلفاء المسلمين أقرب لروح العصر وأكثر إنفتاحاً على إحتياجات المجتمعات (أستذكر هنا الرشيد والمأمون وربما محمد علي باشا بدرجة ما). أصارحكم القول، بأنني أعتقد بأن سوريا الغد والمستقبل التي ننشد بعد زوال حكم الطاغية بشار وأزلامه ليست بحاجة إلى "خليفة للمسلمين" بالطريقة التي شهدتها مجتمعاتنا على مدى القرون الماضية، رغم عدم شكّي بأن من يملك هكذا تصورات وقد تكون "جبهة النصرة" بينهم، لديهم حسّ عال بصعوبات الواقع المعاش وهدف سامٍ يتمثل في البحث عن الصيغة التي تضمن لمجتمعاتنا حكاما ليسوا آلهة، يخضعون للمحاسبة والمسائلة، وبشكل يضمن عدم تحوّلهم لطغاة جدد، بعد هذه الأزمنة المرّة التي عاشها شعبنا

إخوتي في جبهة النصرة، تعلمون علم اليقين بأنّ نظام الأسد الطائفي أجاد لعب ورقة الطائفية وقام بتوريط أغلب أبناء الطائفة العلوية في حكمه المستبد واستند إليهم في تثبيت ركائز جبروته الأمني والعسكري، مع الإشارة إلى استعانته بكثير من أبناء الطوائف الأخرى في سوريا، لعلّ رجالات "السنّة" من أبرزهم. وتعلمون أيضا بأن ما حدث في الثمانينيات وقبلها ومايحدث الآن من حقد طائفي يستهدف أبناء طائفة بعينها في أغلب الحالات هو أيضا أحد الأساليب التي إتبعها "المقبور" الأب وأورثها للصعلوك الإبن من أجل تفتيت المجتمع السوري وتدميره، ماديّاً ومعنويا. وهاهي المجازر المتنقلة بحق أبناء الوطن من "السّنة" تكمل المسرح الدموي في كل أرجاء الوطن السوري الذبيح. بعض الصفحات التي تشيع أخباركم وعملياتكم لا تكفّ عن وصف العلويين "جميعا" بالقردة والخنازير وبالنصيريين والمجوس. قد يجوز أنكم لا توافقونهم الرأي ولكن بما أنّهم ينقلون أخباركم ولا نجد تعليقاً لكم عليها فهناك جزء من المسؤولية التي تتحملونها في جبهة النصرة عن هذه الأقاويل. السؤال الذي ينبغي علينا طرحه في هذا السياق، هل تقوم مليشيات الطاغية بالقتل والترويع فقط لأنهم علويون؟ والسؤال الآخر، هل كل العلويون قتلة بالفطرة ولا همّ لهم سوى قتل أبناء السّنة الثائرين ضد الأسد؟ لا أعتقد ذلك ولكم أسبابي. عندما قامت القوّات اليابانية قبيل الحرب العالمية الثانية بقتل الآلاف من الصينيين وإغتصاب الآلاف من النساء (25 ألف إمرأة على مدار 6 أسابيع) لم يفعلوا ذلك لأنّهم مجوس ونصيريين. عندما قامت القوات الألمانية النازية بقتل الآلاف في بولونيا وروسيا وإغتصاب ألوف الفتيات والنساء، لم يفعلوا ذلك لأنهم علويين أو نصيريين. عندما قام الجيش الأحمر بإغتصاب ألوف الأطفال والنساء والعجائز أثناء وبعد إجتياح ألمانيا لم يفعلوا ذلك لأنهم علويون ونصيريون. لقد قامت القوات العثمانية بقتل آلاف النساء والرجال والأطفال من الأرمن وكانوا مسلمين سنّة ولم يكونوا علويون أو نصارى، بينما قامت القوات الصربية بقتل وإغتصاب الآلاف من النساء والرجال بحق مسلمي البوسنة ولم يكونوا أيضا علويون ومجوس. هذه بضعة أمثلة على أنّ المجازر الوحشية بحق البشر لا ترتبط دوما بالعقيدة الدينية لمنفذيها الجناة، هناك جيوش من الملاحدة وأخرى من المؤمنين باللّه قامت بإرتكاب فظاعات يندى لها الجبين فقط لأنهم يعتقدون بأن لهم السطوة والقوّة بفعل ما يريدون بضحاياهم الأضعف. طبعا هناك أفكار وإيديولوجيات وتواريخ من الحقد والإنتقام والتصورات الصارمة ربيت عليها هذه الوحوش الآدمية، هي التي سمحت لها بإقتراف ما إقترفته دون أدنى إحساس بالخجل والضمير والرأفة. أرى أن الكثير من أبناء الطائفة العلوية قد جُعِل منهم "وحوشاً" آدمية كغيرهم من الوحوش الذين إرتكبوا فظاعات في كل جهات الأرض. هل يعفي ذلك من المحاسبة؟ طبعا لا، أنا شخصيا مع محاسبة كل قاتل أزهق أرواح الأبرياء من الشهداء الآلاف، سواءً كان "علوياً" أم "سنيّاً"، لا فرق. ليس من العدل أن يبقى "سفاحاً" واحداً حرٌ طليق على هذه الأرض. بالمقابل، أعرف الكثير من "العلويين" الذين يقفون مع الثورة ويحاولون دعمها بالمال والكلمة إن أمكن. بعضهم أصبح طريدا وشريدا، يحارب من أهله لأنه وقف وقفة حق في أمام النظام الباطل. بعضهم قتل ودفن بصمت والبعض الآخر تم قتل أحد أفراد عائلته إنتقاماً وإقتصاصاً منه (أظنكم علمتم قصة الفتاة العلوية التي قتلت أمها على يد أبوها بسبب تأييدها للثورة)

لاحظت بأن بعد كل مجزرة يقوم فيها النظام يكون هناك أصوات عالية تصدح بالعبارة التالية: يا جبهة النصرة أغيثونا! في الحقيقة هذا النداء يمكن تفسيره على شكلين: الأول قد يشير إلى الثقة العالية التي يوليها لكم جمهور الثورة ودوركم المتعاظم خلالها على درب تخليص الوطن من نظام البطش الإرهابي الجاثم على الصدور. فالناس العاديين بحاجة لشد العزائم في لحظات الضعف وقلّة الحيلة والغضب الكبير والعجز الأكبر أمام هول المجازر التي ترتكبها كتائب الموت الطائفية أينما حلّت. أمّا الشكل الثاني فهذا ما أخشاه ويبدو لي وأنا المتابع الدقيق لمسار الثورة وكأنّه دعوة لكم، أنتم رجال النصرة بمبادلة النظام بالمجازر وتحريضكم على التصرّف أسوة بكتائب الموت المجرمة من إنتهاك للحرمات وقتل للأطفال ضد الأحياء والقرى "العلوية" التي مازالت ترفد الطاغية بالدعم والتأييد. الشهادة للّه أنّكم إلى الآن أثبتّم وغيركم من كتائب الجيش الحر المقاتلة أن وعيكم الوطني والإنساني يشهد له المثل، إذ بحسب معلوماتي، أنكم حتى اللحظة لم تتورطوا بأية أعمال "طائفية" ضد قرى أو أحياء علوية مؤيدة، ولو أردتم ذلك لما استصعب عليكم ذلك، موفيت الفرصة على النظام وأسياده في إيران وغيرها كي يشعلوها حرباً طائفية لا تبقي ولا تذر. أودّ أن أصارحكم بأنّ بعض مؤيديكم هم جماعة من المتطرفين المسعورين والذين يحاولون بكل جبن سوقكم للقيام بأعمال قذرة هم لا يستطيعون القيام بها

إخوتي في جبهة النصرة، حتى الآن تحدثت عن بعض النقاط ولكني لن أغفل مسألة غاية في الأهمية تتعلق بالوضع الداخلي في سوريا وباقي الفئات من المنخرطين بالثورة أو غيرهم والذين قد لا يشاطروكم نفس المبادىء والرؤى. كما تعلمون بأننا نعيش في وطن غني ومتعدد بالثقافات والطوائف والأديان والقوميات. حقيقة لا أعرف بلداً يعيش فيه عرب وأكراد وأرمن، مسلمين ومسيحيين، سنّة، علويين، دروز، شيعة، اسماعيليين، يزيديين وصابئة منذ مئات إن لم نقل آلاف السنين. هذا التنوع الغريب والغني يجب أن يؤخذ بعين الإعتبار عندما نفكر كلنا حول الوطن الذي نتمناه بعد رحيل الطاغية وزبانيته ومحاكمة كل من تورّط في الدم السوري كائنا من كان. في تنوّع كهذا من الصعب فرض صيغة على شكل دولة دينية تحكمها شريعة إسلامية متشددة، حتى ولو كان هذا المشروع مرغوباً لدى نسبة لا بأس بها من الشعب. أودّ التشديد على أنّ هناك أفرادا وجماعات متعددة شاركوا في الثورة من أبناء طوائف المجتمع السوري حتى ولم تكن مشاركة الطوائف الأم واضحة أو قوية. هؤلاء وغيرهم حتى ممن شاركوا في الثورة لهم الحق أيضاً في المساهمة في بناء الدولة التي ننشد، دولة الحرية والقانون والعدالة الإجتماعية والمساواة. وبهذا فإن فرض نوع معين من الملبس أو الطريقة في إدارة الأمور مبنية على رؤية جماعة أو جماعات معيّنة حتى لو كانت "جبهة النصرة"، لن يكتب له النجاح وسوف يؤدي إلى ظهور توترات مجتمعية نحن بالغنى عنها في مرحلة تالية تتطلب منّا جميعاً مسؤولية كبيرة لتخفيف جراح أهلنا من آلاف المنكوبين. أورد بديهية بأن الدين الإسلامي هو جزء خاص ومتميز من الشخصية السورية ولا أعتقد بأنّ سوريا بحاجة إلى "فتح" جديد، لا على يد "النصرة" ولا على يد غيرها. نعرف من تاريخنا القريب ومن تجارب غيرنا من الشعوب بأن فرض تصور أو شكل للمجتمع بالقوة والإكراه ليس له فرصة للحياة وسوف يؤدي إلى تأجيل مفعّلات الإنفجار فقط (ماذا فعل البعث مثلا). أنا من الأشخاص الذين يتمنّون لو إنخرط الجميع، بعد زوال الطاغية في عملية سياسية كبيرة، بمن فيهم رجال "جبهة النصرة". ولمَ لا التفكير في إنشاء حزب سياسي مثلاً يعبّر عن طموحاتكم وأهدافكم، والنموذج التركي المتمثل ب"الحرية والعدالة" ماثل للعيان. أمّا رفض الواقع والإصرار على أهداف تنظيمية أو أخرى إقليمية، أو حتى التحوّل إلى نموذج "حزب اللّه" فهذا ما لا ليس بحاجة له قطاع كبير من شعبنا بعد المرحلة العصيبة المدمّرة التي عاشها في ظل عقود الإستبداد الطاغي وما خلّفه من آلام

أنهي رسالتي لكم بشيء عن طبيعة عملي كأخصائي ومعالج نفسي مع مرضى الأذيات النماغية والأطفال واليافعين من ضحايا الحروب والنزاعات المسلّحة. لا أخفيكم بأن جميعنا ينتظره عمل شاقٌ في مرحلة البناء القادمة لا محالة، سواء على المستوى النفسي الفردي أم على المستوى الجمعي في إعادة إعمار البلاد التي دمّرتها كتائب الطاغية بكل خسّة. أعرف من خلال عملي اليومي وإطلاعي الميداني البسيط بأن الآلاف من أطفالنا ويافعينا شهدوا ويلات الحرب المدمّرة التي شنّها النظام المجرم على شعبنا ورأوا الأهوال من قتل للأهل والأصدقاء والأقارب والمعارف، ومن تدمير للبيوت ومن تشرّد وجوع ولجوء. ولا أشك بأن قسما كبيرا منهم قد تعرّض لصدمات نفسية متكررة، تستوجب العلاج والتأهيل فيما بعد. بعضهم كان ضحيّة تعذيب وحشي وبعضهم الآخر تعرّض لإصابات شديدة فقد فيها أطرافه. هؤلاء هم جيل المستقبل الذي ستبنى عليه سوريا الغد وتتابع مسيرتها رغم الجراح، وهم بأمسّ الحاجة لنا لمساعدتهم في التخفيف من الآلام التي قاسوها وتخطّي الطفولة التي حرموا منها. كل منّا كان لديه عمل ما قبل الثورة، قد يكون منكم العامل والسائق والمهندس والممرض والخبّاز والدهّان والطبيب والتاجر، وربما بعض رجالكم عنده أطفال وزوجة وأسرة قد هجرها طوعا من أجل خدمة الثورة في القتال ضد الطاغية. نحن بأمس الحاجة لكل الجهود وأطفالنا ويافعينا سوف يكونون أمانة في أعناقنا ماحيينا. قد يكون أحد أطفالكم، أو طفل أحد معارفكم قد صدم بما رأى أو سمع وقد يحتاج لتأهيل نفسي قصير أو مديد وقد أكون أنا أحد هؤلاء الذين يمكنه تقديم مساعدة ما. بالمقابل قد أحتاج أحدكم يوما ما في شيء لا أستطيع القيام به في مجال ما. لقد كتب علينا أن نحيا ونعيش هذه المأساة، بغض النظر عمّن إقتضت ظروفٌ معينة أن يكون خارج الوطن، وسيكتب علينا جميعاً المضيّ متماسكين حتى لو إختلفنا في محاولة بناء ما دمّر من حجر وبشر، مقتفين سيرة الأوائل في الجهاد بجميع درجاته، رفعاً للظلم والأذى

وأخيراً أختم من الذّكر الحكيم

(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

(سورة فصلت: 34 / 35)

والسلام عليكم

ثورة المرأة السورية مزدوجة في مواجهة دكتاتورية واستبداد السلطة والمجتمع الذكوري

تحية إلى نساء سوريا الثائرات في عيدهن وثورتهن

■ زليخة سالم

اجمعوا أشلاء بناتي وأحفادي ترددها بذهول اللحظات التي فقدت فيها ابنتها وأحفادها الثلاثة في قذيفة واحدة.. لم تكن تدري أم وليد التي نزحت من حرستا إلى برزة لتحمي أولادها من القصف أن الموت بانتظارهما هناك وأن قذائف الموت لا تفرق بين منطقة وأخرى.

كل مواساة البشر لا تخفف عنها لحظات الألم والوجع ولا تنسيها هول منظر أشلاء فلذات أكبادها وقد تناثرت إلى قطع صغيرة يصعب تمييزها إلا من قطعة ثياب متبقية

أم وليد ليست الأولى ولن تكون الأخيرة بين خنساوات سوريا اللواتي فقدن أولادهن وعائلاتهن كاملة ويكملن الطريق.. هي المرأة السورية التي دفعت وتدفع الثمن الأغلى في ثورة الحرية والعدالة.

فكم من أم عظيمة دفعت أبنائها إلى ساحات التظاهر وهي تعلم بأنهم قد لا يعودون إلى حضنها أيام السلمية، وبعد أن دفع اللانظام إلى تحويل الثورة إلى مسلحة باعت كل ما تملك لتمكين أولادها أو زوجها أو أخوها لشراء قطعة سلاح يدافع بها عن أهله وناسه ووطنه.

المرأة هي رحم الوطن والحياة هي نبع العطاء والحب والحنان والجمال هي الأم والأخت والزوجة والابنة هي الحضن الدافئ لأولادها وأسرتها ولكل من حولها هي مربية الأجيال وهي بكل فخر أم الثائرات والثوار السلميين والمسلحين وبكل أسف هي نصف المجتمع المُعطل.

آلاف قصص البطولة والألم سيرويها السوريون لأبنائهم وأحفادهم لسنوات طويلة قادمة عن بطولة وشموخ وصبر المرأة السورية وتضحياتها.. قصص أكثر من 5000 شهيدة و1500 مغتصبة في السجون والمعتقلات وآلاف المعتقلات وملايين النازحات والمهجرات حتى الآن والأعداد مرشحة لازدياد مع استمرار النظام في حملته الإجرامية الوحشية ووحدها السنين القادمة ستكشف عذابات المرأة الحقيقية وتفاصيل حكاياتها.

لأن العيد تكريم أو تذكير بدور أو مسيرة ما فإن عيد المرأة العالمي وللسنة الثانية على التوالي هو عيد المرأة السورية بامتياز التي دفعت (الغالي والغالي) نصرة لثورة الحرية والحق والكرامة على الظلم والاستبداد وتدَول من وردة حمراء إلى دم أحمر حيث تعرضت للقتل والاعتقال والخطف والتعذيب والاغتصاب والتهجير والتشريد والنزوح وكابدت الآم فقدان الابن والأب والأخ والزوج من الشهداء، والآم انتظار عودتهم من الاعتقال أو الخطف، ورؤية آلام الجرحى منهم.. وتأمين لقمة العيش لأسرتها في هذه الظروف الخانقة في الداخل وفي مخيمات النزوح.

ثورة الحرية والحق هي ثورة مزدوجة للمرأة السورية التي عانت بالإضافة إلى ظلم النظام واستبداده من عبودية المجتمع الذكوري الذي يحكم العالم بدرجات مختلفة منذ أن تخلت المرأة في غابر الأزمان عن دورها في حكم الأسرة بانتقال زراعة الأرض والإنتاج للرجل وانصرافها إلى الإنجاب وتربية الأولاد وإدارة شؤون المنزل ما حط من مكانتها وألزمها بالتبعية الاقتصادية إلى الرجل إلى يومنا هذا.

صوت الصواريخ والقذائف والبراميل والرصاص الذي علا على صوت التظاهرات السلمية التي شاركت فيها المرأة فيها بقوة على الأرض ومازالت أسهم في تغييب دورها الأساسي والإنساني على الساحة الإعلامية حتى وصلت في بعض الأحيان إلى إنكار دورها متناسين خروجها في أولى مظاهرات الحميدية والاعتصام أمام وزارة الداخلية وفي درعا مهد الثورة امتدادا إلى باقي المحافظات..

ليس المطلوب من المرأة أن تحمل السلاح وتقاتل مع أنها ستفعل لو استوجب الأمر وهي تفعل ذلك في بعض المناطق، ذلك لأن في الحياة وظائف موزعة ومتكاملة بين نصفي المجتمع المرأة والرجل ولكل منهما دوره المكمل للآخر..

اغتصاب النساء الذي أثير بقوة إعلاميا وكتب عنه الكثيرون بأنه إذلال للأب والأخ والزوج الذي اغتصبت ابنته أو أخته أو زوجته ومع صعوبة هذا الموضوع وكارثيته عليهم وفق المفاهيم الاجتماعية السائدة إلا أن أحداً لم يركز على اغتصاب وقتل روح المرأة والآثار النفسية لمثل هذا الانتهاك بمثل ما ركز على انتهاك عرض الأسرة وشرفها الذي يتركز في جسد المرأة في مجتمعنا للأسف.

سوريا أنثى والأرض أنثى والثورة أنثى والحرية والكرامة والعدالة أنثى والأنثى هي المرأة التي شاركت بالتظاهرات وعملت في علاج المرضى وتضميد الجرحى ونقل الأدوية وفي الدفاع عن المعتقلين والعمل مع منظمات حقوق الإنسان ونقل الأحداث ومتابعتها وتوثيقها وفي إغاثة أهلنا الذين نزحوا من محافظاتهم إلى مناطق أكثر أمنا وفي إيصال المساعدات والسلل الغذائية وتأمين أماكن إيواء وجمع التبرعات.. كما عملت في خياطة الأعلام والرايات وكتابتها وتوزيع المناشير وبخ الجدران وفي مساعدة الجيش الحر وفي نقل الأسلحة وبعضهن في حمله، وكانت كاتبة وشاعرة وقاصة ومدونة ومعلمة وأبدعت في مختلف أنواع الفنون الثقافية داخل سوريا وخارجها.

فأي دور للمرأة وأية حقوق ستحصل عليها في سوريا الحرة؟ سؤال يطرح بقوة في هذه الأيام في ظل تهميش وجودها وإقصائها وتجريدها من حقوقها السياسية في أول تجربة انتخابية للمجلس المحلي لمدينة حلب الذي تزامن مع عيد المرأة.. على الرغم من تواضع طلب ثائرات حلب بثلاث مقاعد فقط.. وهذا ما كان في أغلب المجالس المحلية للمناطق المحررة.. إضافة إلى انخفاض تمثيلها في الائتلاف والمجلس الوطني نظراً لهيمنة تيار معين لا يعترف بحقوق المرأة وخاصة السياسية منها علماً أن التاريخ يشهد على دور المرأة السورية في صنع حضارة وطنها وعلى دورها المؤثر في جميع الأحداث الوطنية.

حاجة المرأة السورية إلى الثورة مزدوجة فهي من جهة تثور على الظلم والاستبداد السلطوي ومن جهة أخرى على استبداد وعبودية المجتمع الذكوري لها ولتحصيل حقوقها في المساواة الذي نص عليه ميثاق الأمم المتحدة الذي أقر عام 1945 وأعلن فيه المساواة بين الجنسين كحق أساسي من حقوق الإنسان.

استمرار الإنسان في عبوديته للشرائع والقوانين والأعراف التي ورثها عن أبائه وأجداده والتي لم تعد ملائمة لعصره لاتقل ضراوة عن عبوديته لقوانين الدكتاتور الجائرة، ولا يقل جورا عن قبول النساء باستمرار تهميشهن واستعبادهن واختصار دورهن في تربية الأولاد (مع ما لهذا الموضوع من أهمية) والأعمال المنزلية واعتبارهن عورة تحت ذرائع وأعراف متخلفة باستخدام النصوص المقدسة بشكل خاطئ لتخدم أغراضاً معينة..

المرأة وحدها القادرة على الانتفاض على واقعها واثبات ذاتها وامتلاك قرارها وتفعيل دورها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتحصيل حقوقها لتبني مع الرجل شريكها في الوطن والحياة دولة القانون والعدالة والحق، لأنه لا يمكن التوصل إلى نهضة مجتمع وتنميته دون إشراك المرأة نصف المجتمع

وتفعيل قدراتها وإمكانياتها المعطلة وتمكينها الكامل من المشاركة في صنع القرار ولنا في التاريخ عبرة من مئات النساء اللواتي حكمن في دولهم وفي سوريا، الملكة زنوبيا مثالاً.

وأنا أدعو نساء سوريا إلى تشكيل تجمع نسائي فاعل من كافة الاختصاصات للعمل على تحقيق المساواة بين الجنسين وإجبار أي حكومة انتقالية على إشراك المرأة في صياغة الدستور والنصوص القانونية والتشريعية والعمل على تعديل المواد القانونية التي تعزز التمييز بين المرأة والرجل وتعديل قانون الأحوال الشخصية ومنح جنسية المرأة لأبنائها، وتشكيل لجان تصل إلى جميع المناطق السورية لتوعية المرأة بحقوقها القانونية والإنسانية والتعليمية وتدريبها على كيفية إنشاء مشاريع صغيرة تساهم في تحسين معيشتها وأسرتها وتحقيق استقلالها الاقتصادي وفي تنمية البلد وإخراجها من قوقعتها التي فرضها عليها مجتمع متخلف ومفاهيم بالية تخالف كل الشرائع والقيم الإنسانية، إضافة إلى دورات للتوعية الصحية والقانونية وغيرها وصولاً إلى تحرير عقلها وبالتالي قرارها.

سنستمر في نضالنا لتحصيل حقوقنا كاملة دون نقصان، وأي إقصاء من الحكومات القادمة ستكون الساحات والشوارع سبيلنا إلى الاعتصام والتظاهر.. فقد كسرت الثورة الخوف داخلنا وعلمتنا أن لا يضيع حق وراءه مطالب.

تحية إلى أم الشهيد إلى خنساء ديرالزور وخنساوات سوريا في كل بقعة من بقاع سوريتنا الطاهرة.

تحية إلى نساء سوريا والعالم الثائرات ضد اغتصاب حقوقهن.

الثـــورة أنثـــى

■ منيا حسون

حين بدأ وعيي يتفتّح في عمر مبكّر، أخذت أراقب التفاصيل من حولي، وأتساءل بصوت بدأ عالياً، ثم خفت على مهله، ليصبح مهموساً لا تسمعه سوى ذاتي المتسائلة التي لا تملّ التفكير، ثم التفكير مجدداً.

ولطالما أدرتُ أحاديثاً بيني وبيني عن أبسط الأشياء وأعقدها، كانت إحدى أكثرها إمتاعاً بالنسبة لي: العلاقات الإنسانية: الحقوق والواجبات..

ولكوني فتاةً ربما، أخذت المرأة الحيّز الأكبر من تفكيري: علاقة المرأة بالمرأة، علاقتها المتبادلة مع الرجل، علاقتها مع المجتمع الذي خرج من رحمها وخرجت من صلبه.. وكنت أدرك بالفطرة أن ظلماً ما يقع هنا، لكنني لم أكن دوماً أملك التفسير.

لعبَت نشأتي في دير الزور دوراً، المدينة الصغيرة التي تضجّ بالنقائض، المدينة الممتلئة حكايات مختبئةً وراء أبواب وجدران البيوت والقلوب. المدينة التي تصلح علاقاتها الإنسانية المعقّدة - رغم الطابع العام البسيط لأهلها - أن تكون مادّة لخيال روائيٍّ مبدع لتلد قبيلة من الروايات.

عُرفت المرأة «الديرية» بقوة شخصيتها.. وأذكر حين سكنت دمشق في سني الجامعة، كان أول تعليق أسمعه حين انتهى من التعريف عن نفسي: «الديريات قوايا»، وكنت أبتسم: «صيت غنى ولا صيت فقر»، رغم أنني أدرك في العمق أنه ليس صيت غنىً، بل نظرة المجتمع التراكمية الظالمة التي تقيّم المرأة على أنّها متلقّ دوماً، لا يصحّ أن يُسمع صوتها، ويُعاب عليها أن يكون لها أي وجه تحرري كأن تكون ذات شخصية مستقلة غير منقادة، وإلّا كانت (قوية) في أحسن الأحوال من النعوت..

وتعدّدت مشاهد الاضطهاد.. أذكر بينها مشهداً لطالما ترك في نفسي أثراً عميقاً لم أعتده رغم تكراره مراتٍ ومرات.. زوجٌ يتقدّم زوجته المثقلة بالأولاد في الشارع العام، كنوع من ممارسة دور: «سي السيّد» في حمقٍ عجيب.

كبرت قليلاً لأعرف أن الظلم الممارس في حالة المرأة السورية لم يكن اجتماعياً فحسب، بل سياسياً أيضاً، ممثلاً بنظام البعث الذي حرم أمي (حاملة الشهادة العليا) من أبسط حقوقها في العمل وخدمة وطنها، وإحساسها بإنسانيتها (لأسباب أمنية) فأسقط عنها حقوقها في المواطَنة، وحبسها داخل الحدود لتبقى ممنوعة من السفر على مدى أربع وعشرين سنةً، دون أي ذنب يُذكر.

ثم أصبحت أدرك أن المرأة في مفهوم النظام: أداة يستخدمها لإذلال الرجل و(كسر عينه) وقهره بشكل رخيص ممنهج، شهدت عليه أجيال متعاقبة تناقلت آلاف الحكايات وأكثر، عن قذارة صرفة لا أظنها تتكرر عبر التاريخ.

بقيت أسمع تلك الحكايات وألعب فيها دور المصغية المنصتة حتى جاء يوم وكنت أنا جزءاً من الحكاية، حين قامت الثورة، وامتدّ رحيقها إلى الدير.

أذكر موقفين حفرا في ذاكرتي عميقاً بحيث لا تفوتني أيٌّ من تفاصيلهما، وتسري في جسدي كلّ مرة ذات المشاعر التي انتابتني في تلك اللحظة..

بعد اقتحام الدير الأول يوم 2011/07/28 ازدحمت المدينة بالجنود والحواجز، وفي أول خروج لي بعد عشرين يوماً من السجن المنزلي.. بعد ليالي الرصاص ونهارات المدافع.

بين مشاهد الحرائق والخرائب على الجانبين، والإسفلت المشوّه بالمجنزرات، أوقف السيارةَ حاجزٌ أخذ القائد فيه وضعية الديك، جالساً على كرسيّ واطئ، حاملاً بيده قوائم الـ(مطلوبين). وبينما كان المجنّد الضئيل يتقدّم منا، سأله بصوت مرتجف مخذول: (ناخذ هواوي النسوان سيدي؟) أجاب الديك ناظراً إليّ بعين جوفاء فارغة وسحنة مستفزّة، شامتاً بغضبي: (لأ.. النسوان بنجيبهن بعدين).

لم ينبس أخي.. ربما خاف ألا يأجّلو (النسوان)، فيأخذوهن «الآن».. مع الهواوي..

بعدها بفترة قريبة، وعلى حاجز مختلف، وقفت التاكسي التي كنت فيها برفقة أخي الأصغر، وبدأت سلسة من المضايقات، التي ربّما كان تعاطيٌ الحادُّ الحانق معها سبباً في إذكاء نارها.

وما إن ابتعدنا عن الحاجز بخطوات، حتى سمعت نحيب الشوفير الخمسيني.. كان يبكي بحرقة ويضرب بيديه على المقود ثم يجفف دموعه بأكمامه، ويدمدم بألم وصلني إلى المقعد الخلفي: (بدكم تذلّونا بأعراضنا.. أجا يومكم.. قريب..)

تمنيت لحظتها لو أنني لم أخرج من المنزل كي لا أكون سبباً في قهر ذاك الرجل البسيط طيب القلب، الذي ربّما اعتبرني ابنته..

ولكننا خرجنا يا والدي.. خرجنا وملأنا الشوارع والسماء.. خرجنا كي يكون الذي ضايقني بحضرتك في مكانه المناسب خلف القضبان، وليس في بدلة عسكرية مطرّزٌ عليها شرف الوطن الذي انتهكوه بالتزامن مع انتهاك أعراضكم.. خرجنا بأجسادنا وأرواحنا.. فحملت السورية عبء الثورة كتفاً إلى كتف مع السوري، وكانت الشهيدة وأم الشهيد، والمعتقلة وأم المعتقل، والمهجّرة وأم المهجّرين.. وكانت أساطيرَ كثيرةً..

خرجت لترسم الحرية على الجدران، وتهتف لها ملء الحناجر فلا يعودُ صوتها عورة.. خرجت تردّ اعتبارها الذي أسقط عمداً لا سهواً.. خرجت بروحها التي تاهت منها عشرات السنين، ثم طرقت بابها منذ سنتين..

وغداً.. ستنتصر الثورة.. وستأخذ حقوقها، فيكتملَ النصر. تأخذ حقوقَها بعد أن تكون قد أدّت واجباتها على أتمّ صورة وأجزلت العطاء لثورةٍ كانت شهقة خلق جديد.. ثورةٍ أنثى.

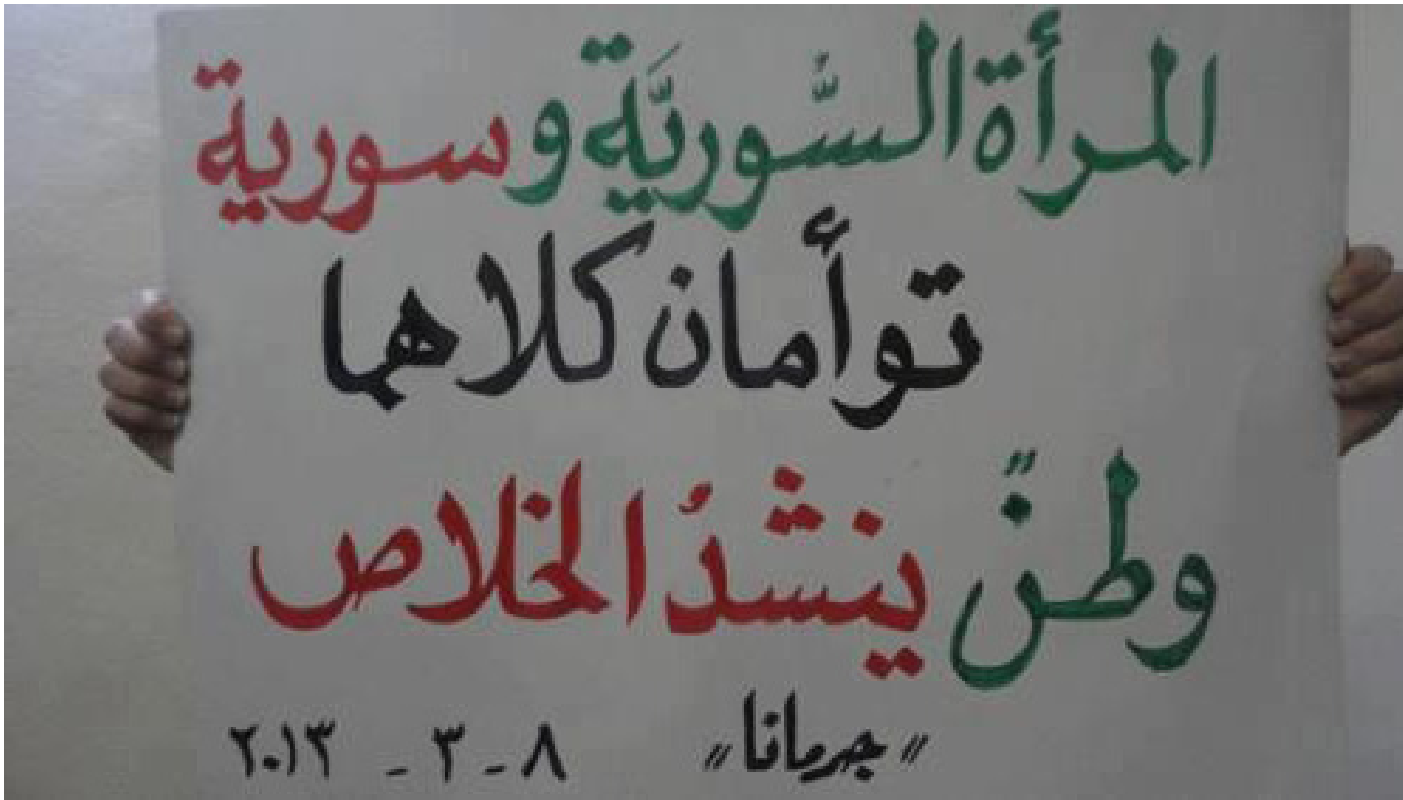

ستعود سوريا إلى البيتْ

■ هالا محمد

لا أعرف في عيد المرأة.. لمن أهدي باقة الزّهر في خيالي.

لا أعرف إن كانت من زهر أم من ماءٍ أزرق.. دموع السّماءْ.

على حدود الخطّ الفاصل بين السّلميّةْ والسلاحْ، بين أمّ شهيدٍ من الثورة وأمّ شهيد من الجيش النظامي..

كلاهما ضحيّة النظامْ القاتلْ. شريط زهر برّي عنيد يرفض الاستسلام سوى لاختلاط صوت الفَرحْ. سوى للتعايش السلمي بين الإخوة ولصوت المواطنة المتساويةْ.

المواطنة المتساوية: الأمّ التي تلمّ.

هنا شباب سوريا وهنا شباب سوريا.

لا أعرف.. تلك القبور التي تناثرت، هل هيَ سماد أرض سوريا المستقبل، سماد الفرح!

ولا أعرف.. دموع الأمهات والحبيبات والأخوات.. والزوجاتْ والثائرات السوريات.. وأمهات جنود الجيشين الخائفات على أولادهنّ من أن يعودوا على خشبة!

ماذا تسقي كلّ هذه الدموع!

هل تدعو هذه الأمهات لأولادها بالنصر! أم تدعو على الظالم الذي يعتقد أن اقتتال الإخوة يعزّز عرش الأبد الذي يحتمي به من الشعب!

نعم القاتل يسخر من الجميع..

وربما يندهش من قدرته على إقناع طرفٍ على الاقتتال من أجله.

هو يعرف أن سوريا هي الضحيّةْ. ضحيّتهُ. ويرى أنه يستحقّ أن تموت سوريا ليحيا!

دموع أمهات سوريا منذ عامين تكفي لكي يتحول العالم إلى حقلِ زهر.. عطره يصيب بإغماءة الحزن.

لا أعرف كيف تصبر الأمهاتْ على كلّ هذا الألمْ.. أمهات الشهداء أيقونة صبر.

حبّ سوريا، بحدّ ذاته يحمي من الأحقاد، هو وعي الحبّ للحبّ.. والحبّ يحمي.

حين يخرج الإنسان من وطنه يحمله معه.. يصير هو الوطن والأحباب والعائلة.

يصير الفرد عائلة ذاته المنفيّةْ.. عائلة ذاتهِ في المنفى وفي التراب وفي التشرّد وفي المعتقلْ.

اختلطت المساحات.. المرأة السورية.. صارت سوريا.

والرجل السوري.. فتح صدر عواطفه.. شفّ.. وبانت الابتسامة تلك التي تحمي كأنها ابتسامة امّ.. تلمّ الزّهر في ذلك الخطّ الفاصل بين السلميّة والسلاحْ.

وتدعو.. أن ينهدم عرش المستبدّ كي يترجّل الابن عن خشبةْ الموت..

ويعود إلى البيتْ.. بيت الحياةْ.

نساء سوريا.. بنات هذه الأرض.. وخصوبة الحضارة والأمل والثقة بالمستقبلْ.

بعد عمر من الدموع.. التي أنبتت أملاً..

هل سيأتي عمر دموع الفرح التي ستنبت.. حياة الأملْ.

أثق أنه آتٍ لا محالةْ.

في آذار.. في كلّ آذار..

سيبقى قبر الطاغية بلا زوّار.. لن تحطّ على قبره نحلة..

سينهكه الأبد الخاوي.. الفارغْ.

سينهكه صنمُ الأبدْ على قبرهِ.

ستنتصر ثورة الأمهات والحبيبات والزوجات والأخوات على أحزانهن من أجل حرّية سوريا.. سينتصر الصّبر..

وستعود سوريا إلى البيتْ.

سوريا الدولة المدنيّة اللادينية واللاعسكرية.

سأشكّل باقة الزّهر هذا العامْ بالسّوسن والبنفسجْ.. والنّرجس البرّيْ والياسيمينْ.

تنشر المرأة السوريّةُ دموع سوريا على حبال الغسيلِ في رياح سوريا الأربعة..

لكي تجفّف أحزان سوريا..

وتشمّس الأمهاتُ أحزانها.. بانتظار الأملْ.

نساء سوريا..

سوسن..

..

سوريا أثقُ بكِ.

جسد المرأة بين العورة والشرف والحجاب
كيف يحيا الإنسان في جسد أنثى؟

■ آية الأتاسي

سؤال طرحه مجموعة من الرجال المدافعين عن حرية المرأة ونزلوا إلى الشارع بأحذية نسائية ذات كعب عالي، في مسيرة تضامن مع النساء في يوم المرأة.. بدت أجسادهم مترنحة وخطواتهم ثقيلة.. فلا يكفي أيها الرجل أن تلبس ثوبها وتحشر قدميك في حذائها لترى العالم بعيون امرأة وليعزف قلبك الشجن الأنثوي وتتكور أحشاؤك لتتسع لجنين يبدأ بذرة ليصير العالم كله..

تبدأ الرحلة الاستثنائية للمرأة في بلادنا من اليوم الذي يصبح فيه جسدها مشكلة وعورة.. تتم حلها غالباً بحجب المرأة أو تحجيبها.. وتبدأ فيه الفتاة بتعلم أن جسدها لا تمتلكه وحدها بل صكوك ملكيته تعود للأب والأخ ومن ثم للزوج والابن.. فتحمله كعبء أكثر مما يحملها.. وتجوب به بلادا لا تستطيع شوارعها أن تحميها من تحرش اليد والكلمة والعين.. فتعتاد أن تبتلع لمسة اليد الشبقة ووقاحة الكلمة النابية وغمزة العين المتطفلة.. كنوع من ضريبة عليها أن تدفعها في مجتمع ذكوري هي فيه مواطن من الدرجة الثانية!

إلى أي حد نجحت الحركات النسوية بتحرير المرأة وإلى أي مدى يمكننا الحديث عن المساواة بين الجنسين؟

بعيداً عن الشعارات الرنانة والبروبوغاندا الكلامية.. الواقع يثبت أننا وقعنا ضحايا لكذبه كبيرة اسمها " المساواة".. خلقوا لنا نموذج "المرأة الخارقة" القادرة على العمل داخل البيت وخارجه جنباً إلى جنب مع الرجل.. والقادرة بنفس الوقت على أن تكون أم مثالية وزوجه كاملة الأوصاف.. تلك المرأة على أرض الواقع هي إنسانة منهكة ومستنفزة، تحاول أن تكون بهلوانية تمسك بمئة عصا وتسير متوازنة على خيط رفيع معلق فوق الخسارات.. تترك الكثير من العصي تسقط في الوادي السحيق لتبقي على توازنها ويستمر بها المسير رغم كل الاحباطات والخيبات.. فتجد نفسها في النهاية محاصرة بالواجبات المنزلية التي تبقى غالباً من نصيبها.. وتجد نفسها تتقاضى أجوراً أقل بالمقارنة مع الرجل في سوق العمل.. وغالباً ما تبقى أنوثتها مركونة على الرف ولا تجد الوقت الكافي للاهتمام بنفسها.. وتكتشف في النهاية أن مصطلح " المرأة الخارقة" القادرة على كل شيء ما هو غير وهم، وأنه لا بد بالنهاية بالتسليم بالحيز الضيق المتاح لها داخل مجتمع تحكمه العادات والتقاليد والذهنية الذكورية.

ربما المساواة بين المرأة والرجل في مجتمعنا السوري المحكوم بالديكتاتورية تتحقق - بالمساواة - بالقمع والاضطهاد.. فلا سجون الاستبداد ولا سياط الجلاد تفرق بين امرأة ورجل، وكأن لا هوية ولا جنس للعذاب السوري.. عندما علت صرخة الحرية لتسقط جدران السجن الكبير، كانت صرخة مجتمع كامل بنسائه ورجاله.. لم تحتج المرأة كثيراً لتتبع الصدى، فبين الحرية والمرأة علاقة سرية خاصة، فيها تفاهم، تواطؤ ومشاريع.. ونزلت المرأة للتظاهر جنباً بجنب مع الرجل وتعرضت للاعتقال والتعذيب.. وانتهكت روحها، كما انتهك جسدها، للإمعان في إذلال المرأة كما الرجل في مجتمع يرى في جسد المرأة رمزا لشرف العائلة وكرامتها.. فلم يكن عبثاً أن يذل الناشطين وتمتهن كرامتهم من خلال التعرض لنسائهم وأمهاتهم بالعبارات الجنسية النابية.. وكلنا يذكر الرجل المسحول من قبل قطعان الشبيحة في شوارع إحدى المدن السورية، ففي سكرة ما قبل الموت يطلب الرجل أن يرى أولاده قبل أن يسلم الروح.. عندها يعرض عليه الشبيح أن يترك له زوجته يفعل بها ما يشاء مقابل أن يرى أولاده. يقول له الرجل جملته الشهيرة وربما الأخيرة في حياته:" أعوذ بالله مرتي تاج رأسي".. في أجمل إعلان للحب السوري يقدمه رجل لزوجته على الملأ.. رجل يدخل عتبة الموت ولكنه لا يتوانى عن حماية أم أولاده.. فيرفعها عن العيون ويبعدها عن الأيدي ويضعها تاج فوق رأسه!

ورغم قسوة تجربة السجن الأسدي ومرارته إلا أن المعتقلات خرجن وهن أشد قوة وتصميما على بلوغ الحرية..

وكان هناك نقد شديد لحملة ستر عرض السجينات اللواتي تعرضن للاغتصاب في السجون السورية.. حيث أعرب بعض النشطاء عن رغبتهم في الزواج منهن والستر عليهن.. وكان رد المعتقلات السابقات أنهن ثرن لأنهن يردن حريتهن لا عرسان وزواجا مفبركا.. فحلم المرأة السورية اليوم صار بوسع وطن حر لا بضيق بيت زوجية!

لم تزعزع الثورة السورية بنيان الاستبداد السياسي بل زعزت بنيان الإنسان السوري كله. كيف لمجتمع أن يتحرر من الاستبداد السياسي دون أن يتحرر من الاستبداد الثقافي والاجتماعي.. فتحت الثورة النوافذ الموصدة، وطرحت كل الأسئلة المؤجلة حول الدين والموروث الثقافي ومكانة المرأة في المجتمع.. أسئلة ربما سيحتاج مجتمعنا المنهك من طول سنين القمع لكثير من الوقت للإجابة عليها وسيحتاج لكثير من الجرأة ومواجهة الذات قبل الأخر لإيجاد الحلول لها.. يحضرني هنا الجدل واللغط الكثير الذي دار حول الناشطة دانا بقدونس ونزعها لحجابها بعد الثورة وقد كتبت لافته تعلن فيها أنها مع انتفاضة المرأة لأنها كانت محرومة من أن يلامس الهواء جسدها وشعرها. وبغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع الطريقة الاستعراضية والاستفزازية لصاحبتها، لكنها طرحت مشكلة تعيشها الكثير من الفتيات مع الحجاب وحقهن في ارتدائه أو خلعه. هناك الكثير من الفتيات يمارسن النفاق الاجتماعي ويرتدين الحجاب كقناع من دون قناعة فيصبح الحجاب كستار يتخفين ورائه ليسمح لهن بممارسة الكثير من الأمور في الخفاء وتحت حمايته.. طبعاً هذا لا ينفي إن الكثير من النساء ارتدين الحجاب عن قناعة ويشعرن بوجودهن وبحريتهن أكثر وهن محجبات، هؤلاء يجب احترام خيارهن ووفائهم لقناعاتهن.. فالمجتمع السوي هو الذي يسمح للجميع بالتعبير عن أنفسهن وعن اختلافاتهن بكل حرية.. مجتمع لا نحتاج فيه لمئة قناع وقناع لنواجه الآخرين!

في النهاية علينا أن نحترم اختلافنا وتشابهنا وأن لا نطلق أحكام مسبقة على البشر حسب مظهرهم الخارجي فليست كل محجبة قديسة وليست كل سافرة فاسقة، ويجب أن نتخلص عن ربط شرف وأخلاق المرأة بكمية اللحم الذي تظهره ونتوقف عن اعتبار الجسم المكشوف هو بطاقة دعوة للتحرش به. الملفت للنظر حقاً إن نسبة التحرش في مصر ارتفعت في الآونة الأخيرة اطراداً مع ارتفاع نسبة الحجاب.. فلم تسلم المحجبات ولا حتى المنقبات من التحرش مما يؤكد أن المشكلة هي في الرؤوس وفي التربية الخاطئة لا في درجة تحجب المرأة أو سفورها.

سيسقط الاستبداد السياسي في النهاية وستنتصر الثورة ولكن سيبدأ بعدها ثورة أخرى.. ثورة لإسقاط كل الديكتاتوريات المعشعشة في العقول.. ثورة على أنفسنا وعلى الآخر.. وفقط عندما ستصبح المرأة مواطنة متساوية مع الرجل، في الحقوق والواجبات.. عندها فقط ستنتصر الثورة.. فبدون حرية المرأة ستبقى حريتنا عرجاء!..

السيمفونية الناقصة

■ رشا عمران

لم ينتبه أحد إلى وجودي
لم يصغ إلى انسياباتي أحد
لم يوقظني أحد من السبات الطويل الذي لفني كما تلف كرة متداخلة
لم يهتد الحب الساكن في خلاياي إلى استمالة خطوات الصدى الواثقة
لم يتلقفني أحد كما لو كنت شهوة صاخبة
لم يعرف بي أحد
أربعون عاماً وأنا مركونة كما تركن التمتمة في الأسواق الضاجة
لا الباعة يحررونني
ولا العابرون يدلهم توقهم إلي

* * *

أربعون عاماً وأنا في المساحة بين خطوتين
أفكك أعضائي عني
وأخلع عن جسمي شبهة التشابه
وأرتب التناغم في خلاياي المتضادة

* * *

أربعون عاماً وأنا حبيسة تردد الآخرين
أول ما بدوت
أطلقني شوبرت كرنين فكرة وغاب
ثم التقطني هوتنبرنر وقادني نحو مرآته كي أرى نفسي
وحين اكتفيت أعادني إلى سجني الطويل
إلى المساحة بين خطوتين
كيما أصبح أنا مرآتي
ولا أرى في نفسي غير نفسي

* * *

أربعون عاماً..
أتنقل في حركتين
تارة أدخل في ظلمة ليلي كبومة تائهة
وتارة أدخل في هذياني لأكشف من نفسي أكثر ما ينبغي:
غابات حزني
سواد روحي
ذلك الألم المبهم الذي بي
عذاباتي
وانتظاري ما يئست حدوثه!!
ولأنني أعرف عن نفسي ما لا يعرفه احد
ولأنني
أنتقل
في خطوتين واهيتين إلى نفسي
كي أنزع الليل عن أعضائي المتكاثرة
وأفرج ساقي كي أجذب كل ما يلمع من سحب الضوء حولي
ثم أتكور وأنفرد
وأتكور وأنفرد
قبل أن أطلق فراشات الفرح المتشبثة بي
وأنثر فوق المحتضرين
ورد الحياة!

* * *

أربعون عاماً
وأعيد ذات الحدث
يوما وراء يوم
أهلكني أنني أنا من يصغي إلي
وأنني في كينونتي لست غير جزء مني
أهلكني الغبار..
ذلك الغبار
رابطي الوحيد مع الزمن!

* * *

أربعون عاماً
وأنا أنتقل بين حركتين اثنتين فقط
لكنني في انتقالي المتمهل
كنت أصوغ عوالم لم يعرفها أحد
وأكمل من نقصاني نفسي
كي اظهر ذات يوم كاملة
وحين بعد أربعين عاما ظهرت
وانجلت عني ظلالي القديمة
نفثت غضب السنين الكامن في عروقي
نفثت الشحوب العالق في غموضي
صرخت كما لو كنت الموت في قرية وادعة
ثم هدأت
وتهاديت
وحزنت
وفرحت
ثم فرجت ساقي أمامكم
كي تتناسل مني الحياة

* * *

أربعون عاماً وأنا أحيا
خمسون عاما وأنا أحيا
مائة عام أحيا
مئات السنين سأحيا
لا الزمن يطفئ صوتي
ولا كتلته ستوقف تجددي في أذهانكم
لكنني سأبقى ناقصة
أتنقل إلى الأبد بين حركتين وحيدتين
وأشهر اكتمالكم بالموت..

كلمات في الجرح المتمدّد من هنا إلى سوريا
في حلم الثورة الغائر تحت ركام الجهل والانتهازية

■ محمد مُعرِز

(مع أنني أعلم مسبقا أنني على حد قول أحدهم: ما جادلت جاهلا إلاّ وغلبني، وما أكثر أنصاف العقول والكيانات التي لا تفهم قولي..)

هل كانت الثورة السورية في البداية ثورة.. أم مؤامرة خارجية..؟

بلى كانت ثورة.. وهي الآن ثورة مختطفة في منتصف طريق الحلم.. كما الأمر في تونس مع اختلاف الوسائل ولا فائدة من تذكير بعض من لم يهبه الله القدرة على التمييز بين الألوان فلا يرى منها إلا الأبيض والأسود أن هذا كلام من يعرف رهان المقاومة واستراتيجيات الهيمنة ورهاناتها المضادة كما يعرف أيضا آلام شعب حي - ميت أو ميت بالحياة منذ عقود تحت سياط نظام الجلد "الممانع" وشعارات القومجة التي باعت صدام حسين قبل غيرها.. ولا علينا من تاريخ يرتسم في العقول ترهات وخيالات ومواقف معلقة أبعد ما يكون عن المقاربة النقدية الشمولية.. فهو شأن أنصاف الأعراب بأنصاف العقول.. مدى الزمن..

حمل الشعب السوري حلمه في الشفاء كما حملته شفاه التونسيين..: الشعب يريد إسقاط النظام".. وجاء من واشنطن رجل يسعى أيام سقوط رأس النظام هنا.. يدعى جيفري فيلتمان فوضع لشيوخ القبائل الحزبية خارطة طريق وقسمة.. في حق شعبنا المنتفض وليس في حقهم.. ومن يومها ونحن نعاني.. ونكابد..

الشيخ حسن نصر الله يوم 25 من جانفي يحذر التونسيين من هذا الأفاك المتخصص في سرقة أحلام الشعوب، يقول عنه: إنه حبيب بعض أرباب الفتنة في لبنان فاحذروا أيها التونسيون " العظام" من وجوده ومخططاته وأدواته.. سيدوس جراح أهلكم ويريق على دماء شهدائكم ماء الخديعة.. فما سمعه إلا من كان قد سمعه..

وأما في سوريا كان الشيخ ولا زال إلى جانب بشار الأسد ونظامه.. وهو أعلم بحساب الموازنات والرهانات ولكنني مع ذلك شأني مع هؤلاء المقاومين العظام، أجلهم ولا أخلع عليهم ثوب النبوة..، أفهم مخاوفهم ولكنني أتحرى " العقل الذي لا يعرى من المبدإ والقيمة ما وسعني.. "..، ورجوت في قرارة نفسي أن لا يخذلنا من يحمل لواء المقاومة وأن يؤيد الشيخ الثورة السورية يحميها من الهوام ودواب الأرض.. وأن لا يسعى في إجهاض حلم شعب.. فهو يعلم أن الجولان لا يمكن أن يحرره "نظام الممانعة" وأنه يمكن أن يكون حليفاً مرحلياً لكن لا صدقية في حلفه الاستراتيجي على طريق التحرير وأن هذا ليس أساس التحرير الفعلي الذي ترنو إليه أنظار الأحرار المعلقة قلوبهم بفلسطين.. وأن هذا الأفق العروبي المتلحف بالقطرية باطنا والوحدوية علنا قد صار إلى انتهاك الإنسان.. وأن الإنسان الذي يكون حرا لا يحرر الأوطان..

وثمة أطراف تود وضع سوريا تحت التدويل، والمصالح العليا للدول الخارجية متقاطعة مع مصالح أغبياء القلوب والعقول بكل أشكالهم في سوريا.. فزادتنا هما وغما وعبثت بالثورة التي انتقلت من أيدي حملة كتاب الحرية إلى حملة سلاح الأعراب والأسلمة المجنونة.. بلا قيمة أو معرفة.. وكان أحرى بالجهلة أن يكونوا مسلمين ثوريين.. لا غير.. رحمة بأنفسهم وبغيرهم.. فهناك على الأقل أمل في النجاة..

وللأسف ومن البداية كان المؤيدون هم فقط أعداء الثورة المزعومة وهم فقط من وضعت أسمائهم على قوائم العار..

حيث سجل دريد لحام في قائمة العار ووضع روبرت فورد وسمير جعجع في قائمة الشرف..

ولكن الآن وبعد ظهور أصوات التيار الثالث الذي يرفض أي نوع من أنواع التدخل العسكري أو محاولة السطو على قرار السيادة الوطنية..

أصبح أيضا أعضاء التيار الوسطي المحايد من أعداء الثورة وباتوا يُهاجمون كما يهاجم المؤيد وأكثر..

ميشيل كيلو تحول فجأة بنظر الثورة من الأعمدة إلى بوق..

وهيثم مناع أصبح جماعة الثورة يخشون ظهوره على الإعلام خوفاً من فضحه

وفي الأثناء وعلى غرار ما حدث في العراق.. (حيث مزقوا وحدته المقاومة للأمريكي ومذهبوها..).. جاء الجهاديون وأخذوا المشعل بمباركة أرباب البترو - دعارة خليجية - أمريكية.. ولم تترسخ قيم الثورة في بعد تحرري مواطني بل في بعد طائفي لمشروع إسلامي غالب على طبيعة المقاومة المسلحة.. لأن مصالح الدول هي مصالح الدول، لا عواطف أو قيم إنسانية لها. مصالح الدول أوقعت فتن بين الإسلام والدروز من جهة، والدروز والمسيحيين من جهة أخرى منتصف القرن التاسع عشر في سوريا ولبنان. في صباح الأول من تموز 1860 وخلال ثلاثة أيام تم حذف مسيحيي دمشق البالغة نسبتهم 30٪ من عدد السكان ال 110000 نسمة بهدف تغيير الديموغرافيا السياسية، فذبح 15000 منهم برعاية تركية وهجر 15000 أخر إلى بيروت برعاية فرنسية انكليزية، وهكذا خسرت دمشق تنوعها، وغيرت بيروت تنوعها كي تذهب إلى أحضان المصالح الفرنسية. بعد قرن وعقدين من هذه الحوادث، وفي العام 1984 سلحت إسرائيل الدروز والموارنة وانسحبت فجأة بدون أي عمليات مقاومة أو أي ضغط دولي خلال 8 ساعات، فوقعت مجازر لا تحصى بين الطرفين العزيزين على قلب بعضهما، وطبعا تبعها بيانات استنكار وتنديد وقلق دولي وأممي وو وو الخ. سلحت الولايات المتحدة الشيعة في العراق عام 2002 والسنة في أفغانستان قبل ذلك. أميركا شيعية في العراق وسنية في أفغانستان، وتدعم وتغطي وتبارك لإسرائيل بطشها بالعباد في فلسطين ولبنان. أما تقنيات تدويل أزمات الدول والتدخل فعليكم بسؤال الخوري الذي فتح طاقة في جدار الباب الشرقي لدمشق للفاتحين البدو العرب المسلمين ليحرروه وينقذوه من ظلم أهله في الشام..

الحلم في مهب ريح الطوائف.. والثورة في منتصف طريق القتل على الهوية الدينية.. هل كانت في غير وقتها.. في غير سياقها..

هل كانت في سياق الجهل والمؤامرات وبذلك لا يمكن أن تكون إلا جرحا إضافيا.. أم أن أملا ممكنا من وراء كل هذا الظلام.. ربما سينقذ سورية وينقذ تونس وهذه الأوطان وهذه الشعوب من هذا العذاب..

من قدر الاستقواء بالخارج أو إهدار الحلم.. في التحرر..

ما أشد مآسينا.. وأولها هذا الجهل..

الجهل.. لم يهلكنا غيره.. ومعه آفات أخرى لا تُحصى.. لتجعلنا في هذا الوضع.. تتداعى علينا الأمم ونحن فتات على موائد اللئام.. ويطعنك فيه القريب قبل البعيد..

و أُنهي بهذه الكلمات المقتبسة من كتاب التاو تي تشينغ – إنجيل الحكمة التاوية في فضيلة الصمت.. كتمانا للجرح الذي لا تصفه الكلمات:

كلماتي تأتي من نبع الكلمات القديم،

ولكن الناس في جهلهم لا يفهمونني،

وقلّة منهم تفقه قولي.

سألبس الثوب البالي الخشن،

الذي يستر تحته حجراً كريماً.

(عن مؤلفي: كتاب التاو تي تشينغ - إنجيل الحكمة التاوية).

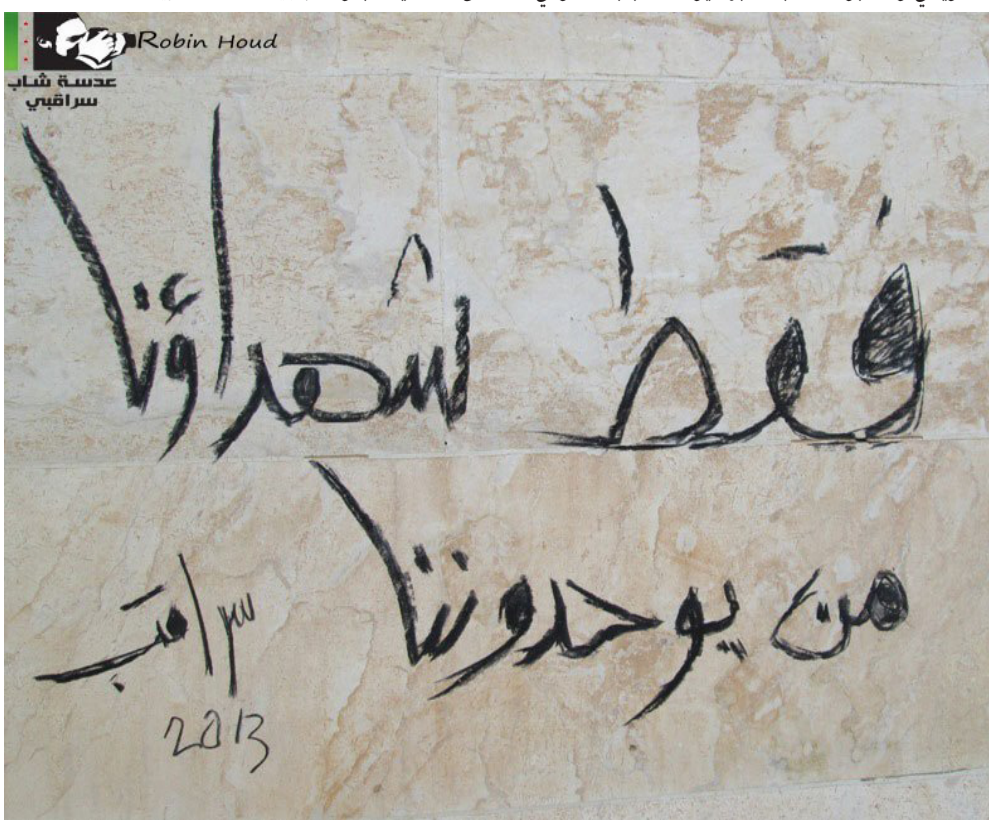

حكاية مقاتل (1)

النصوص المشاركة: الجزء الأول

النص الأول: (أحمد شوال: أستاذ الشريعة ومصير السلاح)

بقلم: عمار أبو خالد.

النص الثاني: (ملاذ: أحارب الديكتاتور، الذي يسرق حاضرنا، ويحاول أن يطفئ المستقبل بإجرامه)

بقلم: محمود الشامي.

النصوص المشاركة: الجزء الثاني

النص الثالث: (حكاية مجد: أخو الشهيد وعهد الأخوّة)

بقلم: أبو عمير الكفرسوسي.

النص الرابع: (شهادة المنشق عن دوما ودرعا)

شهادة: أحمد مسعود

صياغة: محمد نور كبة.

تحرير النصوص: علاء رشيدي.

إن الآراء الواردة في الملف، قد لا تعبر عن وجهة نظر الصحيفة. وهي مرتبطة بالكتاب وراء هذه النصوص والشهادات.

ينشر هذا الملف على جزأين، بالتزامن بين جريدة "سوريتنا"، وجريدة "حنطة".

- هذه النصوص الأربعة، ثمرة تدريب لمجموعة من المواطنين – المراسلين، على الكتابة والصياغة الصحفية. ولأن أغلب المتدربين، هم من المواطنين – المراسلين، إما في مناطق النزاعات المسلحة، أو مرافقين لمجموعات مسلحة، اتفق على موضوعة "حكاية مقاتل"، كموضوع مشترك لكل المتدربين.

قدمت النصوص، وتم اختيار 4 منها، لتشكل ملفاً صحفياً يرفد وسائل الإعلام، بفكرة مختلفة، عن صورة "المقاتل". غالباً، ما يصور المقاتلون اليوم في سورية، عبر وسائل الإعلام، كمحاربين، يطلقون النار من فسحة جدار، أو يداهمون مواقع عسكرية بعمليات عنيفة. ملف "حكاية مقاتل"، يضم 4 نصوص، تسعى لتسليط الضوء على الإنساني في حياة المقاتل، على اليومي، وعلى الرحلة الطويلة والشاقة لبعضهم، من الانشقاق بين جيشين.

"حكاية مقاتل" هو ملف يسعى الرواة من خلاله لأن يلطفوا من أثر السلاح والعنف على حياتهم. رواة أرادوا أن يأنسنوا صورة المقاتل الذي أصبح جزءاً يومياً من حياتهم. ملف كتبه أشخاص يرغبون أن ينقلوا إلى العالم صورة مختلفة عن المقاتل في سورية.

إنها حكايات اختارها كاتبوها أن يقولوا أن المستقبل كامن في الإنسانية التي لابد من استخراجها من أعماق المقاتل، رغم كل كم العنف المفقد للآمال.

أحمد شوال: أستاذ الشريعة ومصير السلاح

■ بقلم: عمار أبو خالد.

في ظل النزاعات المسلحة بين مقاتلي الجيش الحر من جهة، ومقاتلي جيش النظام من جهة أخرى، وبعيداً عن الحروب وأصوات المدافع والرصاص، وفي أحد المنازل التي لقيت نصيبها من قذائف وصواريخ النظام التقينا مع احد عناصر كتيبة القوات الخاصة بريف اللاذقية والمدعو (أحمد شوال)، التقينا به لنعرف من هو الإنسان الذي بداخله، والذي تحول مع هذه الأحوال إلى مقاتل فكان معه هذه اللقاء:

دخلنا الغرفة وكانت شبه مظلمة يدخلها القليل من نور الشموع التي تضيء المكان، جلسنا على إحدى الفرش التي تم وضعها على الأرض بجانب المدفأة وسألت (أحمد):(كيف حالك؟)، فأجاب: (الحمد للّه)، مع أن وجهه رسمت عليه آثار التعب والإنهاك. (أحمد) رجل نحيل، ذو عزم قوي، أكل الشيب شعره، وله لحية بيضاء تناهز ال45 من العمر. كان يلقب بين جميع الناس "أستاذ أحمد"، فخطر لي بداية أن أسئلة لماذا ينادوه بهذا اللقب، فأجابني قائلا: (ينادوني هكذا لأني كنت أستاذ (مدرس) أدرس مادة الديانة الإسلامية للطلاب عمل طالما أحببته رغم مشاقه ولكن يكفيني اجري عند اللّه)

(أستاذ!!؟ لماذا حملت السلاح؟)، قال: (نعم أستاذ، وحملت السلاح لأني أستاذ، وأنا قدوة لطلابي. وثانيا هذا واجبي للّه وللوطن، وعلي تلبية الواجب، فبعد كل هذا الظلم الذي تعرضنا له، ونحن نقول سلمية، إلى متى؟ إلى أن ألا يبقى أحد كما يرددون: "لا أحد إلا بشار الأسد"؟؟)، وتابع: (لذلك لم نحمل السلاح حباً بالعنف، بل لأنه فرض علينا كما تعرف، فنحن نعرف بسماحة دين الإسلام، ولكن بنفس الوقت نحن أشداء على الكفار. أنهى كلامه، وبدا على (أحمد) شيءُ من الانفعال والغضب، فرشف من كأس الشاي، حين سألته:(أحمد أنت مدرس. كيف وصلت إلى هذا الطريق، طريق السلاح؟)، فأجاب: (أخي الكبير طارق أسس كتيبة، وهو من الأشخاص المتدينين والمطلوبين من قوى الأمن النظامية بشدة. كان أخي في بداية الثورة يقول لي هذا النظام لن يسقط إلا بقوة السلاح. كنت من الأشخاص المعارضين لرأيه في البداية، ولكن عندما وصلنا لمرحلة لم يعد أي إنسان قادر على السكوت، ذهبت لعند أخي، وهنا كان القرار. صارحته بقراري، وأنني أريد الانضمام للكتيبة. وهكذا كانت بداية طريقي بحمل السلاح. اخترت حمل السلاح بوجه هذا النظام حتى إسقاطه).

وحين استفسر من (أحمد) إن

كان يعني أن الجميع سوف يسلمون السلاح عند إسقاط النظام، أجابني بوضوح:(السلاح لن يسلمه الجميع. فسيبقى على البعض حمل السلاح لحماية الدولة الجديدة. ولا أخفيك أنه هناك بعض الأشخاص لن يسلموه، وسيستخدمونه لمصالحهم، يجب أن تكون هناك قوة رادعة لهم. أما بالنسبة لي، فإن كتب الله لي الحياة، فلن احمل السلاح. لأن مهمتي كمقاتل تنتهي، وتبدأ مهمتي الجديدة، وهي مهمة المساهمة ببناء سوريا المستقبل. خصوصاً أن مهنتي هي المدرس، يعني مهنة بناء الأجيال)

قلت على عجل: (بما أنك ذكرت الأجيال، يعني الأولاد. لقد شاهدت قبل قليل الولد الصغير الذي قدم لنا الشاي. هل هو ابنك؟ وهل عائلتك معك؟)، قال (أحمد شوال) الأب هذه المرة: (نعم هو ابني الأوسط، وزوجتي وأولادي معي أما والدي، فهما مايزالان في المدينة، أي تحت سيطرة النظام)، أخذ نفساً عميقاً وأضاف وهو ينظر في عيني: (لا تسألني إن كنت أخاف عليهم. فزوجتي وأولادي مثلهم كمثل الجميع، لن يحصل لهم إلا ماكتب الله لهما. أما والدي فأنا خائف عليهما لكن يأبون الخروج من منزلهم.

بدت على وجه (أحمد) علامة حزن على والديه، فسألته: (أتخاف الموت أم تخاف من الهزيمة؟)، أجاب بعفوية: (يا أخي اسمع. إن كنا نخاف من الموت لما خرجنا وحملنا السلاح يعتقد الكثير أننا نخاف من الموت لكن بالعكس يوجد لدينا الكثير من الشباب تريد الشهادة وأنا ممن يطلبون الشهادة.. لا أعلم، لكن أنا أؤمن بأن الظلم لن ينتصر، وأن الحق هو المنتصر دائما. واستشهد بما قال (عمر المختار)، نحن لانهزم، فإما أن ننتصر أو نموت).

وقال أحمد رأيه صراحة بأولئك الذين لم يحملوا السلاح في سورية: (المشكلة أنه أصبح ينظر للشعب بعدة فئات؛ مسلح وغير مسلح. يا أخي أنا بسلاح أو بدون سلاح أبقى مواطن. لا فرق بيني وبين الذي لا يحمل سلاح. جميعنا أولاد وطن واحد، أو إذ لم نكن أولاد مدينة أو حارة واحدة. أنت تعرف طبيعة الألفة بين الشعب السوري. عندما حملنا السلاح، أصبح علينا للمدنيين حقوق، وعليهم لنا حقوق. وجب علينا قيام خدمات الدولة التي فقدت كالأمن والحماية وهذا واجبي كمواطن حامل سلاح أما المواطن يلي ما حامل سلاح فلديه خدمات أخرى ومتعددة كطبيب وسائق ووو غيره من المهن. أنت تعرف.. وهناك من يرى أن كل شخص مسلح هو شخص لا يوجد بقلبه رحمة او لا يوجد لديه قلب انتزع منه العطف والحنين.

سلاحي لا أستخدمه إلا في المعارك ولا أظهره أمام أطفالي. نحن بشر بالنهاية، لمن نأتي من كوكب آخر. ونحن من هذا الشعب لكن القدر حتم علينا وأجبرنا بحمل هذا السلاح للدفاع عن أنفسنا وأعراضنا)، ثم تابع وهو شير بيده إلى الساحة المليئة بالثلج أمامنا: (لابد أنك رأيت قبل قليل قائد الكتيبة. وكيف يلعب بالثلج مع أفراد المجموعة المقاتلة. لسنا بتلك الشخصية التي ترسم بذهون البعض أننا أشخاص نزعت الرحمة من قلوبهم.

ولم استطع الرحيل وترك حياة المدرس (أحمد شوال) الذي تحول مقاتلاً، دون أن أسأله: (هل أنت سعيد بهذه الحياة التي تواجهها الآن؟)، أجاب دون أن تخفى عن وجهه علامات تعب: (حياتنا رغم صعوبتها لكنها جميلة. نقضي اليوم بمهام يوزعها لنا قائد الكتيبة، ونجتمع مع بعضنا عند كل صلاة. وفي نهاية النهار، نجتمع سوية بسهرة جماعية. لدينا هنا أحد المقاتلين ذو حنجرة عذبة، فيبدأ لنا بالإنشاد. ونمارس الرياضة يومياً للحفاظ على اللياقة البدنية. وللترفيه عن النفس. أتعرف؟ هناك دوري كرة قدم. ونقسم بعضنا لفرق لنلعب بالكرة. علنا نستعيد روح المرح والمزاح)، ويضحك (أحمد) وهو ينهي اللقاء بيننا.

ملاذ: أحارب الديكتاتور، الذي يسرق حاضرنا، ويحاول أن يطفئ المستقبل بإجرامه

■ بقلم: محمود الشامي.

عندما تختلط البساطة مع البطولة نقع في علاقة رائعة تجسّد ملامح الأبطال وبعيداً عن ضجيج الموت وبالقرب من إنسانية مقاتل يعشق حلمه ويناضل من أجل حياةٍ كريمة لأبناء بلده.

كان للمصافحة القوية، والسلام الحار الواقع الذي يعبّر عن الثقة التي يتمتع بها (ملاذ سلوم)، قائد المجلس العسكري لمنطقة الهامة الذي أنهى 32 ربيعاً. متزوج، وله فتاة واحدة. كان يتقن مهنته في مجال الكهرباء الصناعية، حتى خرج ليتظاهر مع بداية الثورة. لم يكن من أجهزة الأمن إلا أن تلاحقه، ووضعت اسمه تحت قائمة "الإرهابيين". تعرضت إحدى المظاهرات، التي كان قد شارك بها في بلدته الهامة، والتي تقع في ريف دمشق، فيشق بردى بيوتها الدافئة ويغرق الياسمين رائحة أزقتها الريفية، تعرضت المظاهرة لهجوم من قبل الأجهزة الأمنية فسقط ضحايا.

من هنا قرر ملاذ تشكيل مجموعة لحماية المتظاهرين، ولم يكن يملك سوى القليل من السلاح الخفيف، مثل البومب أكشن الذي كان يستخدمه لممارسة هواية الصيد.

ومع تزايد المعاناة وسقوط الضحايا، اتفق مع مجموعة من أبناء بلدته وبعض الناشطين في الثورة، على تشكيل كتيبة (شهداء العاصمة) لحماية المتظاهرين السلميين من بطش الأجهزة الأمنية وما يعرف (بالنظام الطاغية البعثي).

يقول ملاذ: (الخوف غريزة لدى الإنسان، لكن نحن كثوار معرضين في كل لحظة للموت. لا نخافه ومستعدين لأجله لأننا مؤمنون بالله. لكن أتمنى لابنتي وأبناء وطني أن يتحرروا من هكذا عبودية. وأن يتخلصوا من لديكتاتور الذي يسرق حاضرهم ويحاول أن يطفئ المستقبل بإجرامه)

ويتابع ملاذ، وعيونه تحكي قصةً عن واقع مرير: (ننتصر عندما نصبح أحراراً. نُنتصر عندما يكون لكل مواطن حقوق يحصل عليها وواجبات يؤديها، بعيداً عن انتمائه المذهبي. ننتصر عندما تتحقق أهداف ثورتنا بالحرية، والعدالة. وعندما ننحرف عن هذه البوصلة يكون مصيرنا الهزيمة لا محال. ولهذا أمثلة كثيرة أوضحها الطائفية المملة التي يريد أن يوقعنا هذا الديكتاتور بها ويعمل على زراعتها)

ويعد (أبو إسماعيل) وهو ينظر إلى دخان السيجارة التي بين أصابعه: (إن قدر الله تعالى لي أن أحيا بعد سقوط النظام، سأعود لحياتي الطبيعية سأعود لابنتي الصغيرة، سأعود لزوجتي التي أعشقها. سأترك السلاح لنبدأ بإعمار بلدنا بالإنسان الذي همّش على مدى عقود، بالقلم الذي كان مكبّلاً لسنين).

كاترينا لا تحتاجُ إلى فيتو

■ إياد غسان المغوش

(1) انطفاء

كانت في الخريف وبعده بقليل
تشبه العشب ولا تشبهني، وكنت أنت
مثل الريح التي قلبت طاولتي الفارغة
سمعتك. سمعتك. أقعدت طاولتي
و بأظافري
عليها كتبت اسمك

* * *

رأيت في وجهك وجه كاترينا
كنت هناك تقفين شامخة مثل
شعاع
والسماء فوقك
قوس نصر
عبثا أبحث الآن عنك
عبثا أحاول رسم اسمك من جديد
فأظافري اقتلعت وطاولتي
صارت رماد

(2) احتضار

ألست القائلة : الأشياء ترتبط معاً؟
تلك السلسلة المجدولة من اللانهاية
تتحطم بين يديك
لتصنعي منها
خبزا ربما
أو حديدا ربما أو ربما فقط!

* * *

أي ليلة حمراء أغمضت جفنك
وأي أفيون هذا الذي نوم الأرض تحت سماء الخدر
تشرين فصلٌ في السنة
لكنه كان آخر الغناء أو كان الغصن الأخير

(3) غجرية

خطواتك المائعة ورأسك الذي يعكس الأشياء ذابلة ميتة
إلى أين؟ إلى أين؟
بينما كان تشرين يحتفل بخشخشة الأوراق المتساقطة
كنت تقضمين صوتك شيئا فشيئا
أعاد صوتك الآن
إلى الحنجرة الحديدية ؟
اصمتي
أنا الآن بنكهة أخرى
ولم أعد أفهم لغة الحديد ولا لغة الخريف

* * *

اصمتي
جمالك لم يعد يعنيني
اصمتي
عيناك صارت من زجاج
ولم تعد ترقص فيها النجوم
اصمتي
وجهك وجدته يتدحرج بين شظايا البلور على جسدي
مثل غجرية
لا تأبه إلا بالذهب
وأنا ما عندي ذهبٌ
عندي بعض العشب وبعض العنب
والكثير من الغجر

* * *

وداعا
مياهك الباردة هناك
وداعا
جليدك الطافي على البحر هناك
لديك ما لديك وتملكين الصوت العالي
وأنا أملك إرادتي وصوتي
صوتي الذي صار مثل موج البحر
ومثل سنا الجبال
ومثل شعاع القمر
فهل ستخنقين البلابل في حنجرتي
أم ستشربين ماء البحر؟

فاتح المدرس 1922 - 1999

■ ياسر مرزوق

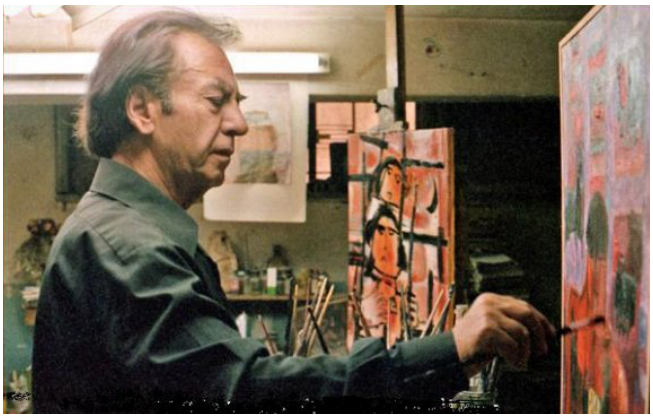

ولد فاتح المدرس عام 1922 في قرية حريتا الواقعة شمالي سورية بالقرب من مدينة حلب، في بيئة قروية يمتزج فيها العرب والكرد والتركمان، وكان والده عبد القادر عربياً ينتمي إلى آل المدرّس الأسرة الإقطاعية المعروفة، بنفوذها الإقطاعي وكانت والدته كردية، عاش معها طفولة شقيّة محرومة، بعد مقتل والده عن ستة وعشرين عاماً، وكان لم يزل في الشهر الثاني والعشرين من عمره، ولذلك لم يتعرّف على قيم الأب وسطوته كما يقول هو نفسه فيما بعد: «كانت الأم هي كل شيء.. الحب العميق والأمومي. المطر والثلج. المبعدة التي عاشت شبابها تقف بصلابة وقوّة أمام أهل زوجها الإقطاعيين» الذين رفضوا وجودها في مجتمعهم، والمقاتلة التي حمت أولادها وربّتهم وعاشت لأجلهم.

كما قال المدرس عن البيئة التي نشأ فيها: «بداية تعرفي على الأشكال المحيطة بي كانت رائعة. لأنني عشت طفولتي في ريف الشمال. إن هذا المكسب التجريبي في طفولتي كان الزاد الذي لا ينتهي للغد. وعندما بدأت أرسم كنت كأي طفل سوري يرسم ليقابل بالمعارضة من أهله.. وعندما أصبحت في الثانوية قيضت لنا الأقدار أستاذاً تخرج في أكاديمية روما وكان اسمه (غالب سالم) فراح يحببنا بالرسم ويقول لنا: انك لو رسمت ورقة شجر جيدة لعلمت لتوك كم تعبت بها الطبيعة أو الله. ثم تعلمت الأناقة في الرسم وكيفية النظر إلى الأشياء باحترام ومجاراتها بشكل يتناسب مع نظام الكون الدقيق وكان هذا على يد المهندس (وهبي الحريري). ثم سرت قدماً ارسم وأكتب وأعزف الموسيقا وأمارس الرياضة الصعبة وكان الرسم وحده الذي يقف أمام عيني. لكن أهلي ظلوا وحدهم الجدار بيني وبين كل شيء جميل، ماعدا أمي وهي من الريف. لقد كانت تنظر إلي من تحت اللحاف في الشتاء كيف أرسم على ضوء الشمعة كيلا أوقظ أخي الصغير ومرة رسمت والدي من الذاكرة وكنت لا أعرفه لأنه قتل وعمري اقل من سنتين، فجاءت عمتي في اليوم الثاني ومزقت الصورة، ومرة رسمت عارية نقلتها من قاموس فجاءت ابنة عمتي وعضت على شفتها وركضت تنادي أمها - عمتي - فجاءت وعلى رأسها غطاء الصلاة وكشفت عن اللوحة ومزقتها. في تلك اللحظة شعرت أنني انتصرت وأني يجب أن ارسم أكثر.. ».

غادر المدرّس حياة الريف وهو في الثامنة من عمره، ليقيم عند أعمامه بحي الفرافرة بحلب الارستقراطي في حلب، إلا أنه فضل الإقامة مع والدته في حي باب النصر الشعبي. وحين دخل المدرسة الابتدائية، اكتشف أستاذ الرسم شريف بيرقدار موهبة الرسم لديه، وفي مدرسة التجهيز الأولى (ثانوية المأمون) تعرّف أساتذة الفنون: منيب النقشبندي وغالب سالم ووهبي الحريري وأخذ عنهم المبادئ المدرسية لفن الرسم والثقافة الفنية.

وفي مطلع الأربعينيات من القرن العشرين، غادر المدرّس حلب إلى لبنان ليتابع دراسته في الكلية الأمريكية، وقد درس اللغة الإنكليزية، وتعرف على ثلة من المثقفين اللبنانيين مثل مارون عبود الذي أسهم في تحرير وعيه الثقافي،

وحين عاد إلى حلب عمل مدرساً للغة الإنكليزية والتربية الفنية في ثانويات حلب، وبدأت مشاركاته الفنية في الرسم تظهر إلى جانب عدد من الفنانين الرواد، كما ظهرت مساهماته الأدبية في الشعر والقصة التي كان ينشرها في الصحف والمجلات السورية، (قصيدة الأمير - مجلة القيثارة - اللاذقية 1946)، وتعززت علاقته بالشعراء والأدباء مثل: عمر أبو ريشة وأدونيس والمخرج سليم قطاية والناقد سلمان قطاية.

في عام 1952 شارك بمعرض بالولايات المتحدة وآخر بالسويد. وفي عام 1952 نالت لوحته "كفرجنة" جائزة المعرض الثالث للفنون التشكيلية في المتحف الوطني بدمشق. كما نال جائزة الاستحقاق من المعرض الدولي في جامعة ليكلاند - فلوريدا.

في عام 1957 تابع دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة في روما، وفي عام 1960 نال الجائزة الأولى من أكاديمية الفنون الجميلة بروما. ليعين عام 1961 عيّن معيداً في كلية الفنون الجميلة بدمشق. عام 1963 أصبح أستاذاً مساعداً في قسم التصوير ثم التحق بالمدرسة العليا للفنون في باريس وحاز على الدراسات العليا بالتصوير.

انتسب إلى المدرسة العليا للفنون الجميلة في باريس، وتخرج منها عام 1972

في عام 1977 نال جائزة الغطاء الذهبي في المعرض الخامس للفنانين العرب الذي أقيم في الكويت. وبين عامي (1981م ـ 1991م) تولى (فاتح) منصب نقيب الفنون التشكيلية. وقد خلّف لنا (المدرّس) بالإضافة إلى اللوحات، عدداً كبيراً من الكتابات، ومن أبرز مؤلفات (المدرّس)، نذكر: دراسات في النقد الفني المعاصر، (دراسة) حلب 1954م. وتاريخ الفنون في اليمن قبل الميلاد ـ (دراسة). ومجموعة محاضرات عن فلسفة الفنون ونظرياته عام (600 ق. م). وأعمال تشكيليه ودراسة لفاتح المدرّس، مع دراسة عن الكلمة. الصورة. دمشق ـ باريس (بالتعاون مع معهد العالم العربي باريس) 1994م. وله مجموعة قصصية، بعنوان: « عود النعنع »، دمشق ـ 1985م. وفي سنة 1962م صدر له ديوان شعر بعنوان: « القمر الشرقي على شاطئ الغرب »، بالاشتراك مع شريف خزندار - (بالعربية والفرنسية). في سنة 1985م صدر له ديوان« الزمن الشيء »، بالاشتراك مع الشاعر حسين راجي، أخرجت السينما السورية ثلاث قصص في ثلاثية له بعنوان العار.

يؤكد المدرس، أن لوحته لا تشرح الأساطير، ولا تروي خباياها المثيرة، بقدر ما تعيش نبضها اليومي من خلال مجتمع الريف في مدنه الحيّة مثل مدينة (معلولا) الآرامية المحفورة في الصخر، السافرة حجيراتها أمام الشمس والصباغات الكلسيّة. في مثل هذه المدن تحديداً، يبحث الفنان المدرس عن كائنات إبداعية تتكاثر في عرق الأرض. تتجذر مع أشجارها، حتى أنه طرد المدينة من لوحاته، وتمسك بهذه البيوت الطينية أو الحجرية التي نُحتت فيها الوجوه التعبيرية، كما نُحتت في ألواح ورقم آثار الحضارات السورية الآرامية - البابلية - الكنعانية - الفينيقية، في ممالك ماري وأوغاريت وتدمر.. وغيرها.

وبصراحة متناهية، يُعلن أنه يرسم ليكون سعيداً، فهو بلا معرفة ليس سعيداً، وفي تعرفه على الرسم والألوان، يشعر بملكيّة مطلقة للأشياء في الوجود، ومن هنا يأتي مصدر شعوره الدائم بالفرح، ولهذا يرسم بيده وبعينيه وبحركته، ليتعرف على الموجودات، فالمعاناة في التجارب تجعله السيد إزاء جمال الوجود الخارق، أما عن الجوائز التي حصدها المدرس جائزه كروماكر في جامعه كليفلاند فلوريدا في الولايات المتحدة الأميركية، الجائزة الأولى من أكاديمية الفنون الجميلة في روما. الجائزة الأولى من وزارة المعارف السورية. في عام 1962 نال الميدالية الذهبية لمجلس الشيوخ الإيطالي. في عام 1963 نال جائزة شرف من بينالي ساو باولو. وفي عام 1968 نال جائزة الدولة السورية للفنون. جائزة استحقاق من المعرض الدولي في جامعة كليفلاند - فلوريدا. جائزة الشراع الذهبي من معرض الكويت الخامس للفنانين التشكيليين العرب. في عام 2006 نال وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة الذي منحه السيد الرئيس بشار الأسد تقديراً لأعماله في الفن التشكيلي.

توفي المدرس في دمشق عام 1999وهو من قال عن الموت: "إن آخر ما يموت في غابة الدهشة هو اللون".

قالوا عن المدرس:

محمد جمعة حمادة: "إنّ الفن عند فاتح المدرّس يمثل حالة أرق دائم مثلما الكتابة".

نزيه أبو عفش: "الذين يعرفون فاتح المدرّس يعرفون أنه، لشدة ما قدس الحياة، آلمته الحياة. ولشدّة ما تألم، تألم كمسيح، لكن دون أن يأمل بيوم ثالث يقوم فيه، تألم لحساب أن تخلد قيمة الجمال ويعلو شأن الروح، لأنه بفطرة الحكيم البدائي، استطاع أن يميز بين العدالة وبين الطنين الزائف للشعار الخبيث، وبالتالي عرف كيف يعثر على إجابات الأسئلة الكبيرة، دون لجوء إلى القواميس".

محمد ملص: "المدرّس شخصية ثقافية كبيرة عالية الأهمية، ليس فقط على صعيد التشكيل بل على أصعدة ثقافية متعددة ومتنوعة كالأدب والموسيقا والفلسفة ـ فلسفة اللون والضوء".

سعد القاسم: "كان (المدرّس) رمزاً، وكان يمتلك حالة من القدسية بالنسبة لطلاب كليّة الفنون الجميلة آنذاك، فكان أكثر من كونه مجرّد أستاذ، وهو الذي أعطى للفن السوري هويته الحقيقية، وقد اختصر في ذاته روح الفن السوري وكل مفهوم التجديد.. إن ميزته أنه لم يكن يحكي عن المصادر الأساسية لإبداعه التشكيلي، خاصة وأن ثقافته البصرية كانت الأبرز في لوحاته التي تبدو فيها التلقائية والعفوية".

إدوار شهدا: "إن (المدرّس) يريد أن الهوية لا تُعطى وإنما تُصنَع صنعاً، وأن المعارف الكثيرة تفقد الذات، والمطلوب مكنسة سحرية لإزالة كل أسباب المعرفة لإيجاد الهوية التي كانت أساساً لمعرفته.. وقد بدأ بالاشتغال على سطح ثنائي الأبعاد، وهو بذلك ألغى مفهوم المنظور، وبالتالي ألغى الزمن والمسافة لصالح المكان، وقد أصبح الشكل والمكان أمراً واحداً لا فرق بينهما، حيث الشكل منسجم ومتفاعل مع المكان".

عبد الهادي الشماع: "فاتح المدرّس، كائن شمولي، فقد كان قاصّاً وشاعراً وفيلسوفاً ورسّاماً، وهو ذو أسلوب ساخر عميق (الكوميديا السوداء) في القصّ، والذي تلوّن بألوانه كلوحاته التي رسمها، أما (المدرّس، الشاعر) فقد أسس لما يُسمى باللوحة التي تتضمّن شعراً والتي اعتمدها فنانون كبار فيما بعد مثل (عمر حمدي، ويوسف عبد لكي)".

بولس سركو: "إن النتاج الفني الملتزم لفاتح المدرّس وغيره من الرواد قد عبر عن شخصية فنية قوية مستقلة محلية مرنة ومنفتحة على سائر الثقافات ومعترفة بالتبادل بينها ومحترمة للاختلاف معها، مما يجعلنا لا نتردد في اعتبار ذلك النتاج أكثر حضارية وتطوراً ورقياً من الفلسفة الجمالية المدعية لتلك القيم ظاهرياً والقائمة حقيقة على الإقصاء لثقافات الغير".

سعيد حورانية: "الذين يعرفون فاتح المدرس يعرفون أنه، لشدة ما قدس الحياة، آلمته الحياة. ولشدّة ما تألم كمسيح، لكن دون أن يأمل بيوم ثالث يقوم فيه، تألم لحساب أن تخلد قيمة الجمال ويعلو شأن الروح، لأنه بفطرة الحكيم البدائي، استطاع أن يميز بين العدالة وبين الطنين الزائف للشعار الخبيث، وبالتالي عرف كيف يعثر على إجابات الأسئلة الكبيرة، دون لجوء إلى القواميس".

طاهر البني: "لقد عاش "فاتح" طفولة شقية ومحرومة متنقلاً مع أمه في القرى الشمالية عند أخواله بعد أن سلبه أعمامه حقه في الميراث الكبير بعد أن قتلوا والده خشية انتقال الميراث إلى أخواله وقد تركت تلك الفترة من حياته أثرها الواضح في وجدانه وسلوكه الاجتماعي وإنتاجه الفني والأدبي، وكأي طفل من أبناء الفلاحين أخذت مظاهر الحياة الريفية تدور من حوله وباتت الطبيعة تشكل المعالم الأولى لوعيه وتنساب في ذاكرته الفتية".

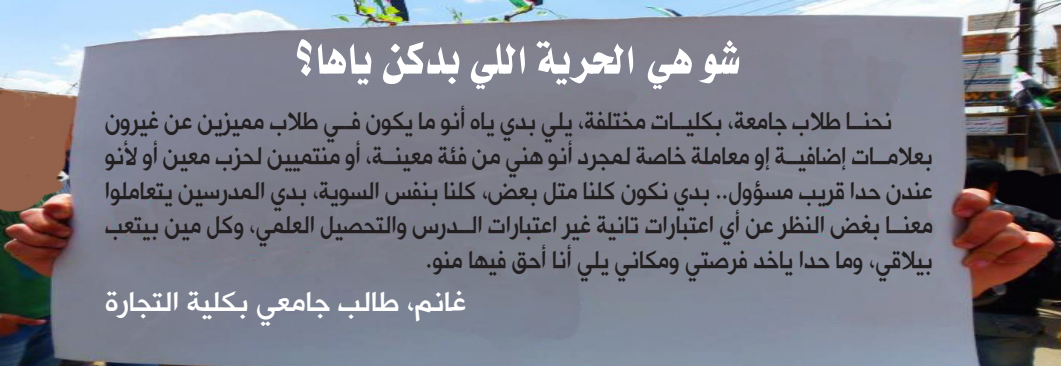

فاضل السباعي

(أغلى الثوارات).. لم يقع أنّ ثورة شعبية لاقت عقوقاً من المجتمع الدولي مثلما يقع لثورة قامت تطالب بالتحرّر من حكم ما زال يقصف شعبه في منازلهم ويتابع القصف حيث يجدون الملجأ والمأوى. ونخصّ في ذلك بعض المعارضين في مصر المحروسة، الذين دَرَسَ استهتارهم إلى النكاية بزعيمهم الذي يقولون إنه يتهمّم لرفع رايةٍ لا يريدونها. ومثلهم مؤيدو النظام في الجزائر، الذي كان قد نكل بشعبه قتلاً وإبادةً واتّهم معارضيه في هذه الأفعال. أغلى الثورات هدفاً وتكلفةً.. والأحط تأييداً في عالم كشف عن وجه الخداع والنفاق.

وسام بدركسان

نحن بقايا ضمير الإنسانية خلف مخالب الحصار والقتل والدم.. نحن حيوانات السيرك الحمصي الذي طالما أضحككم.. نحن وصمة ذل لجباهكم المتخاذلة عن قتلنا المجاني.. نحن الطيبون الذين لن ننساكم كما تفعلون الآن بنا تحت هذا القصف.. نحن هذا الصدى النازف الذي يهز سريركم لتغمضوا أعينكم عن دمائنا التي لم تترك حجراً أسوداً إلا وخضبته بأشلائها.. هل يجب أن تتوسل كثيراً حتى آخر شظية لتهزوا من أجلنا أي شيء؟ لتنقذوا أي شيء سيبقى من رائحتنا..؟

روشان قاسم

على سيرة الاحتفاء بالمرأة السورية.. مجرد اقتراح.. استبدال جميع أعضاء الائتلاف الذي اكتسب شرعيته مؤخراً في مؤتمر روما ومن ضمنه المجلس الوطني الذي اكتسب شرعيته في مؤتمر سابق وتحت نفس العنوان، بنساء من مخيم الزعتري.. نعم فلنستبدل جميع الأعضاء رجالهم ونساءهم.. بالنازحات السوريات فمعهنّ تؤرخ حقبة التاريخ الأسود في سوريا وفي ابتسامتهم تجد كم هذا الزمن منحط هن يدركن مرارة أن تحكم من قبل المستبد هن اللواتي لن يساومن على انتهاك عرض الوطن هن فقط لن يقبلوا بصفقة مع المغتصب، ولن يسمحوا بمرور أجندات الزواج العرفي لا مع المحور فلان أو المحور عليتان.. نعم سيتخذن القرار سيحتضن أطفالهن وسيمضون سبعين براءة الثورة المسلوبة..

أميرة أبو الحسن

شعري ليس عورة، ومن يثيره شعر أي امرأة لا على التعيين فالعلة في عقله هو.

علي ديوب

الثورة أنثى، لذا كان الشيخ معاذ الخطيب معنياً بالتوضيح لمي سكاف. والثورة أنثى، لذا تفردت رزان زيتونة، بالطلب إلى الشيخ معاذ بأن يكون حازما فيما يتصل بتسمية أيام جمع الثورة. الثورة أنثى، والأنثى هي ائتلافنا. والأنثى وطننا، ويومنا الجامع.. وصلاة الحرية التي ترقص فراشات قلوبنا حولها.. فنموت ونحيا سعداء!..

إسلام أبو شكير

الفنانون المبدعون.. اقتراح بجمع الأحذية التي لطمت وجه حافظ الأسد اليوم، ليصنع منها نصب تذكاري يرفع في المكان نفسه..

عهد زرزور

صباح الخير يا حمص، كيف الجو عندك اليوم؟ الجو عندي كئيباً جميلاً كما أحبه.. آدمات وحواءات يتناثرون من السماء بخفّة على وجهي، ولا أثر لقنص الشمس، حلقت مروحية فوقي منذ قليل ورمت خوفكم علي ثم انسابت وعادت ولم ترم الموت ولو حشرجة واحدة فقط!، الناس جميعهم مبتسمون لهذا الجو الكئيب مع أنهم ينتحرون في السوبد بسببه!.. وأنت؟ ألا من طقس ينتحر بسببه المترفون فقط؟

لينا محمد

يلي ما بيعرف النساء الحاملات المشافي الميدانية على أكتافهن.. ما بيعرف شي عن نساء سوريا.. أكتر شغلة بتزعج.. أنو النساء يلي عم تشتغل من قلب وربه.. ما منقدر نحكي عنهن.. ونمجد هن أسماءً وصوراً.. ليش!! لأنهن بنص المعركة.. فـ حاج إيا صفحات الفيس البوك المدنية) تعملولي فيها بطلات وتوزعوا صور يمين وشمال.. عيب.. عيبب بحق هالثورة.. الأنثى على أساس.. مع احترامي طبعاً لكل الشخصيات الاعتبارية..

هالا محمد

أخاف فقط من الصراع على المناصب فيما بعد. بين القوى الأقوى.. بالقوة.. أخاف من دوري سوريا في مباريات كرة القدم بين الأطراف المنتصرة بالقوة التي تشوط الديمقراطية وتحرز آلاف الأهداف قبل تحقيقها.. الباقي.. أشعر بثقة.

رشا عمران

لعل التغيير السياسي والاقتصادي هو الهدف الأول لأي ثورة وهو المحرك الأول لها أيضا، على أن ثورة لا تهدف إلى تغيير اجتماعي يعيد المرأة إلى واجهة المجتمع والحياة بعد عقود طويلة جدا من الإقصاء والتهميش والتغييب وسيطرة البطريركية الذكورية ستكون ثورة ناقصة وستنتج ثورات ارتدادية حتما، لا أظن أن المرأة السورية سترضى أن تكون ملحقة بـ.. ثانية، لن يكون هذا قريبا في ظل كل ما يحدث ولكنه لن يطول كثيرا، أمتلئ ثقة بهذا.

سعاد جروس

الإحباط والقنوط واليأس والحزن وكل ما يتصل بها من مشاعر كئيبة ترف لا وقت لها ولا بد من تأجيلها مهما بدا ذلك صعبا. التفاؤل؛ واجب وطني، وحاجة إنسانية ماسة للسوريين لعبور البرزخ.. طوبى لكل من يبث بابتسامته الأمل.. وفي مقدمتهم الحماصنة.. سلام يا حمص.

عصام العطار

لا يستطيع الدرُ أنْ يكونَ إلا درّاً ولو أثقلَتْهُ الوفُ القيود أو انتُزِعَتْ منهُ الحياة

وئام عماشة

إليكم يا من تنتصرون لقيمة الإنسان في سوريا.. لن يبقى من الظلام سوى فسحة للنجوم.. ولن يبقى من القيود إلا قتاة حديد، والغد المشرق سيفوز به من تزين جبينه بالعرق والغبار..

سهى رحال

الشهيدة أم الشهيد أخت الشهيد زوجة الشهيد حبيبة الشهيد المعتقلة أم المعتقل أخت المعتقل زوجة المعتقل حبيبة المعتقل اللاجئة الثائرة المتظاهرة الناشطة المسعفة المغيثة المقاتلة.. إنها أكثر من نصف الثورة وأكثر من نصف المجتمع..

نجم السمان

بالمشرحي السوري.. اللاطائفي: السوريون بكل أطيافهم.. هم من دمّوا مرقد السيدة زينب في دمشق.. طوال أكثر من ألف عام. وتشكيل عصابة من الشبّيحة الإيرانيين واللبنانيين لحمايتها.. هو أشبه بذرائع الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان.. بحجّة حماية المسيحيين السوريين وكنائسهم الوادعة المطمئنة. السيدة زينب.. تدّص كل السوريين.. وليست لطائفة بعينها!.. كما يوحنا المعمدان.. وكما السيدة عائشة. ارفعوا اليدّ.. غير السوريّة عن مقدساتنا!..

هالا العبد الله

التمكن من إسقاط التمثال بالحبال فقط.. الحبال التي ربطتها ثم شدتها أيدي وعضلات شباب الرقة ورجالها فيه إعادة اعتبار للمقاومة السلمية مهيك؟..

سحر عبد الله

استمعتُ الباحرة لعزف صبية سورية على آلة القانون الحرون والصعبة.. عزفا مبهرا الحقيقة.. تذكرت جملة قالها عبد الكريم اليافي من سنوات بعيدة بأنه لا يجد أجمل من السوريات. في العالم كله.. كانت مايا يوسف تنبش أوتار الرافدين وسوريا القديمة وتراقص معها كل الآلهة بين شعرها الأسود المسدل حول وجهها وانحناء جسدها نحو الآلة وأصابعها المتوترة ودقة تصويبها نغمات.. أصابتين بالرعشة وسرت بي لقصر العضم حيث كنا نستمتع بأمسيات موسيقية لعازفين سوريين وغير سوريين.. سوريا.. مو غريب يكون معنى الكلمة بلغات الشرق القديمة الشمس.. سوريا تسري في الروح كجينات متناسلة لا تموت..

عبد الباسط فهد

"في حمص تخرج من بيتك فيودعك الجميع.. تعود ليستقبلونك بلهفة تشبه الحرص على الوداع. في حمص تتشاهد قبل قطع الطريق.. في حمص تختار أي السبل أقل هلعا لتصل منه إلى الجامعة فتوصل فلذة كبدك. في حمص وحده القناص يتلذذ بممارسة ساديته في القتل ونذيبته باختيار ضحاياه.. أما الهاون فلا يأبه من يصيب المهم أن يكون دمار. الرجل والخبز الطفل والخبز الجميع واسطوانة الغاز والدور على المازوت. هذه الهموم صارت عادية. اليوم أصبح الحال نكون أو لا نكون. في حمص وحده الأمل ينمو ويزداد في حمص يعشقون الحرية والنكتة والحياة".

نوار زريق

بعض الناس يعتقدون إن الديانة عبارة عن سيارة.. نختارها لأنها الأجمل أو الأفضل أو ربما الأسرع أو الأكثر اقتصادية وحتى محبة للطبيعة.. الأسهل.. للقيادة.. يمضون حياتهم وهم يحدثونك عنها.. ينطفونها ويخافون عليها من الاستعمال.. ينفقون ما بوسعهم ليعرفوا أصلها وفصلها وكل التفاصيل عنها.. موديلها هو الأفظع ما قبله كان تجارب وما بعده تجاري.. حتى نسوا الغرض من شرائها.. أن تقلهم من ميلادهم إلى مماتهم برفقة طيبة إذا أمكن.. آه يا سيارتي الحزينة..

كانت هي آخر وجه حبيب ودّعته قبل أن أترك سوريا. أنفقنا آخر اللحظات في الضحك والتوصيات بأن نبقى بخير حتى اللقاء، وارتكبنا مغامرة صغيرة خبيثة كآخر طقس لنا معاً، ثم ضممنا بعضنا بكثير من الحب والشوق المستبَق، وقليل من الخوف.. لم نكن ندرك لحظتها في الحقيقة تلك المسافة التي ستحول بيننا بمئات الكيلومترات..

خلال سنة وشهرين وثلاثة عشر يوماً، كانت دوماً أقوى مني بعد أن أنهكني البعد منذ اللحظة الأولى.. تَعِدُني بالإيمان، وتؤكد لي أن الغد أجمل، وأننا سنلتقي قريباً..

اليوم على سكايب سألتني في وجل رجف به قلبها، أحسستُ به رغم صوتها الهادئ الثابت: يعني رح يقصف الرقة بالطيران؟.. لم أستطع إلا أن أصمت..

رأيت دموعها لحظتها من خلال الكاميرا الباردة، وأحسست بحرارتها تلسعني على وجهي وعلى قلبي وعلى أصابعي.. دموع القهر والخوف على أهلها الذين نزحوا من الدير إلى الرقة، ثم قصف بيتهم - الذي أخرجوا منه - وهم في دار النزوح.. مرّت في رأسي كل الأفكار التي مرت في رأسها لحظتها، وكل المشاعر التي خفق بها قلبها الذي لم أعرف يوماً أصدق منه..

صديقتي التي لم أستطع أن أحضنها في لحظة التعب هذه.. سنلتقي في سوريا الحرة يوماً ما، وستغنين لي كما في الماضي: «بيني وبينك تسع جبال، وعرب وصحرا وغيبة يوم.. «.. وسنبكي معا مرة واحدة كثيرا، ثم نضحك دون سبب يُذكر.. نضحك لأننا معاً ولأننا عدنا.. نضحك لأن سوريا عادت إلينا وعدنا إليها.. نضحك حتى نهزم كل هذا الوجع الذي تغلغل فينا ودوّخنا..

سنقف على بلكونة بيتكم التي التهمتها القذيفة، نشرب الشاي الأخضر من دون سكر، شاردتين في المزارع والبساتين أمامنا على مدّ البصر، وتحتنا النهر صامتاً يصلي..

منيا حسون

هناك من يعزو تخوّف التيّار «العلماني» في الثورة من تطرّف الإسلاميين إلى أسباب طبقية ويبرّر أي انتقاد موجّه إلى انتهاكات الجيش الحر والكتائب الإسلامية لوجود نزعات طائفية واضطرابات نفسية مصدرها انحسار الدعم الذي كان يؤمّنه النظام خاصّة من خلال المحسوبيات والامتيازات التي استفاد منها علمانيو و«مثقفو» الطبقة الوسطى ويختلق حججا عائدة باعتقاده إلى عدم وجود تواصل بينهم وبين البيئات الثائرة التي ستتقلد مستقبلا المناصب وتمسك زمام السلطة أي ستولد، بفكره الخبيث، دكتاتورية جديدة وفرص للتشبّيح المضاد والانتقام.

على الجميع أن يعلم أن من ثار على نظام الأسد المجرم، لا ترهبه لحية ولا بندقية، لأن الثورة الحقيقية وُجدت لتسقط الموتورين ذوي العقول المريضة من الانتهازيين من يتحيّنون الفرص ويطمعون بالحصول على صلاحيات معيّنة لمجرد انتماءاتهم المذهبية.. أنتم جبناء لا تختلف عقلياتكم المتحجّرة عن الأسديين.. لن تنجحوا في خلق فكر بعثي جديد تحت غطاء الدّين.. إن من شارك في ثورة الكرامة آملاً بتحقق العدالة لكافة أطياف الشعب، لم ولن يفكر يوماً بالتراجع أو العدول عن مبادئ المساواة والحرية مهما كلف الأمر من تضحيات وخسائر على مختلف الأصعدة.

Gorgon Succubi Beer

صبارة سوريتنا

صبارتنا حيث لا أحد فوق النقد..
باب ناقد ساخر يتناول مواضيع سوريتنا..
مجتمعنا وثورتنا..

سكود:
وطنيات
مكان الولادة أو القومية أو العرق أو الطائفة أو النسب هي أشياء يفخر بها الفارغون.. إذا كان هناك من شيء يجب أن نفخر به فهو ما نقدمه لأوطاننا و إنسانيتنا بغض عن كل تلك الأشياء!

ما بنعرف بعض..
ما أجمل هذه الصورة الحضارية الرائعة!
كتب المنشور بثلاث لغات العربية و الكردية و السريانية
هي هية الحرية يلي بدنا ياها.. حرية الاحترام.. حرية التنوع..
سوريا ليست للعرب وحدهم! و لغة سوريا ليست العربية وحدها..
سوريا للعرب و الأكراد و التركمان و السريان و الأرمن و الشركس و كل مواطن سوري..
الديمقراطية لا تعني استبداد الأكثرية بل تعني المواطنة المتساوية!
سوريا لكل السوريين..
توقيع سوري عربي
(منشور عن يوم المرأة السورية)

ملطوش
الطفل عمار. الذي لم يستطع الأسد تمييز جنسيته.. بالرغم من العلامات الفارقة الواضحة (يد ورجل مقطوعة..
خمسة قتلى من أهله.. جراء القصف..

ويعيش في مخيم اللجوء) أي أحمق لا يستطيع أن يعرف انه سوري.. سيما وأننا في العصر الحديث..
عمار الآن في فرنسا حيث تبنت قضيته جمعية خيرية.. لتركيب يد وساق اصطناعيتين.. فحبذا يا سيادة الرئيس لو تجري عشر مقابلات كل يوم.
ونستطيع لو أردت أن نضمك إلى إحدى ورشات الإغاثة.. ليس مطلوباً منك سوى هذا الغباء.. بالضبط..

بقلم سامر مصفي

برعاية التيار الصهيوصليبي العلماني الليبرالي اليساري الماسوني الغربي السوري

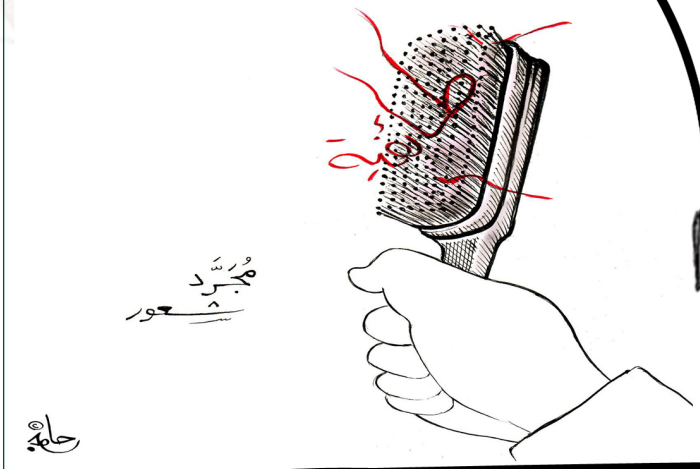

المحشش السوري الالكتروني

لك الكل قاعدين يعملو حجج للنظام وانه ليش لهلق ما عمل أي إصلاحات وحاطين الحق على الثورة والسلفيين والفضائيين والمؤامرة الكونية..

لك لو هالنظام بدو يعمل إصلاح كان عالقليلة بلش من المواقع المحجوبة عالإنترنت.. لك كان فتحلنا الويكيبيديا عالقليلة مشان نتعلم ونشوف ونقرا تاريخ غير تاريخ البعث..

مشان على سبيل المثال نعرف انه سد الفرات هو ليس مشروع من مشاريع الحركة التصحيحية وهو بلش قبل ما يستلم حافظ الأسد السلطة ومع ذلك تمت تسمية البحيرة التي تشكلت خلفه ببحيرة الأسد..

كأنو عالقليلة طالعو عفو عن المعارضين يلي برا مشان يرجعوا وعملوا مؤتمر حوار بمن حضر مو اشترطوا انه معارضين يروحو يوقفوا الجيش الحر لحتى يعملولن حوار..

يعني ما في أي معارض بالعالم عندو سيطرة على كل كتائب الجيش الحر أساساً ما فيك تطلب منهن يرموا سلاحن وهنن تحت القصف اليومي بدون ما تعطيهن ضمانات وتعمل هدنة للتفاوض..

مو أنت وموجه الجيش عليهن بدك ياهن يرمو السلاح وبدون أي ضمانات وبدون حتى إفراج عن المعتقلين وبدون أي محاسبات على مدار سنتين لأي من مسؤولي النظام يلي غلطوا بحق الشعب.

لا تشلشنا مشلوشين

- 1 -

شوية ذكريات بمناسبة يوم المرأة العالمي:
فتوى يحرم فيها على النساء والفتيات ملامسة بعض أنواع الخضراوات والفاكهة مثل الموز والخيار بدعوى أنها ربما تؤدي إلى إغوائهن، ما دامت تشبه العضو الذكري! وأجاز لها أكل ذلك عند الضرورة شريطة أن يقطعها للمرأة محرمها إلى شطائر أو يحولها إلى عصائر!..

داعية يمني يحرم فيها جلوس النساء على الكرسي والكنبات لتعرضهن لنكاح الجن..

في السعودية أصدر عضو هيئة تدريس بجامعة الملك خالد فتوى لتحريم رياضة اليوجا. كما أصدر زميل له فتوى تحرم على النساء والفتيات الجلوس أمام جهاز كومبيوتر مزود بخدمة الإنترنيت بدون محرم خشية أن تتم غوايتها في الدردشة.

رئيس لجنة الدعوة الإسلامية بالأزهر الشيخ عمرو سطوحي أفتى بعدم جواز تزويج أي مصري ابنته من أعضاء الحزب الوطني «الفاسدين»..

يبدولي يا مشلوشين أنو صار لازمنا ثورة.. لا متل ثورة 8 آذار، ولا متل ثورة 15 آذار.. طالما نحنا عايشين بهالجهل يلعن فخامة 8 آذار بعزا سيادة 15 آذار..

كل عام والمرأة نصف المجتمع.. و أم النصف الآخر.. وأخت هيك مجتمع..

- 2 -

| شو عامل بعد بكرا؟
| | بعد بكرا!! مو عامل شي؟
| ما بدك تحتفل بعيد الثورة؟
| | أي ثورة خالو؟
| لك لا، لا يروح فكرك لبعيد.. ثورة البعث.. ثورة 8 آذار

| | اللّه يصلحك.. هذا كان زمان.. هلق بعد الإصلاحات والدستور الجديد صار عنا تعددية.. لك انلعى قلبهن عالأرضية وهنن يقولوا تعددية.. شكلك مو متابع آخر التطورات..!؟

| خيو ميلا متابع.. بس أنت مو فهمان التعددية.. التعددية واختلاف الآراء.. انك تحتفل بـ8 آذار إيمت ما بدك، وكيف ما بدك، ووين ما بدك.. عرفت عليي شلون.. حر تماماً.. بس بطريقة الاحتفال..

| | طيب ويلي بده يحتفل بـ15 آذار؟؟

| خائن وعميل ومتآمر ومندس وغبي مو شايف أبعد من أنفه ومو فهمان طبيعة الصراع و..

| | أهاااا.. هيك طلع معك لكان.. ابقى لكان سلملي عالإصلاح وعطل يا معطل.. ولا تشلشني مشلوش خلقة..

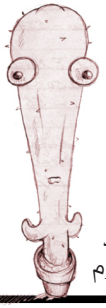

هُنا دِمَشق

■ سيامند حسين

(يوميات ومشاهدات) 8 آذار 2013

في السنة الأولى من الجامعة أَسَرَّ لي على مضض، أحد زملاء حصص الدروس العملية، بعد أنَّ استأمنني، بأنه يحسدني لأنني لستُ بعثياً. سألته عن السبب مبتسماً ومفعماً بأمل مَنْ وجد في العاصمة أول "غريب عن الملّة" ينتقد البعث على الأقل، فأجابني: لأنك لستَ مضطراً لدفع اشتراكات الحزب الشهرية. كانت في حدود الثلاثين ليرة، أقل أو أكثر قليلاً ربما. ثلاثون مليوناً إذاً – كونه بلد المليون بعثي، بتحوير اللقب الجزائري- كانت تدخل جيوب مقرات الحزب وطوابقه وغرفه شهرياً، لتنتهي محاصصةً غير عادلة بين نفقات الزينة من أعلام وصور الرفيق الأب، وكرم ضيافة رؤساء فروع الحزب الصغار، الأغوات المزيّفون في قُراهم، وأرصدة إضافية تختنقُ أرقاماً معقدة في أفواه الجشعين الكبار، المقامرين على أول قطعة نقود في جيب غنيٍّ، وآخر رغيف خبز على طاولة فقير. أُحبطتُ كمن قرأ فنجانه لأول مرة ولم يحدّث شيء إلا القليل السيء الذي ظهر فيه. وفي الحال طَفتْ على وجهي ملامح صفراء، وأخذ صوتي يُجفّف الكلمات التي تقشّرتْ عنها تدريجياً، أيّ رغبة في الظهور إلى العلن. بعد أن رسمت ابتسامة مصطنعة وسريعة في حدقتيّ عينيه المتوسعتين، التفتُ إلى الوراء، ليس فقط خوفاً من أحد المخبرين المنتمين لاتحاد الطلبة (حيث أخبرني بعض الأصدقاء، أنهم كُثر في الجامعة وذووا نفوذ)، إنما بحثاً عن مخرج من موقفٍ بدأ لحظتها يمتصُّ طاقتي، التي سأُبدّدُ آخرها بعد سنوات مُختاراً الهزيمة قدراً، وخادعاً نفسي بادّعاء الهرب المُرخّص من مواجهة كل هؤلاء، الذين اختارهم البعث إما مُريدين أو ضحايا أو انتهازيين أو مغفّلين أوشركاء قذرين. شعورٌ بالغثيان أضرمه انفعالي في معدتي الخاوية، ظهيرة ذلك اليوم من آخر أيام أيلول الذي كان ما زال يخضع لسطوة الصيف وصخبه. فكّرتُ: "لا مخرج. هنا وادٍ آخر، عليك أن تقطعه ربما زحفاً، لا مشياً حتى. فاستعِدُّ".

* * *

عام 2004، بعد عام من إنتاجه، حصلتُ على نسخة من فيلم "الطوفان في بلاد البعث" للراحل المبدع عمر أميرلاي وزّعتْ على ثلاثة أقراص، كانت جودة الصورة منخفضة وصوت الشخصيات بالكاد يُسمع بوضوح، رغم ذلك، كان الفيلم يصل كومضاتٍ من حلمٍ يتعثّر ضائعاً بين الواقع المُحقّق والخيال المستسلم الساخر الملتقي بالخيال المندفع الكامن. لقد استطاع أميرلاي إنساناً ومخرجاً مبدعاً، طباعة تاريخ حزب البعث وممارساته، كمؤرخ يعمل بزُهد المتصوّف، على شريط سينمائيّ وسعَ في جيب سترته، ليعبر بذكاء حواجز الدولة الأمنية، إلى شاشة تعكس كمرآة حياةَ الجالس أمامها مصغرةً أو مكبرة في دولة الحزب الواحد، أيقونة نموذجية اسمها قرية الماشي. التلاميذ الصغار، جنود القائد المستقبليون بحسب عُرف الحزب واتباعاً لتعاليم الأساتذة-الأعضاء، لم يُحرموا حتى في دروس القراءة من إبداعات الحزب، الذي عسُرَ عليه فيما يبدو إيجاد نصّ جدير في الأدب العربي: «في بلادي يغيرون تاريخ حياة نهر.... إنني أفهم حزن الأنهار عندما تُجبر على ترك ملاعب طفولتها، أماكن حبها القديم، صداقاتها مع الطير والشجر... في الخامس من تموز دخل نهر الفرات إلى المدرسة الجديدة ليتعلم كيف يقرأ... وعلى باب المدرسة نزع الرئيس حافظ الأسد من الفرات عباءته الطينة وقصّ له شعره الأشعث وأظافره الطويلة وأعطاه قلماً ودفتراً...ليكتب يومياته كنهر متحضر».

بينما في دول أخرى، يتعلم الأطفال الموسيقى، كان البعث يختزل هذا الفن بأناشيد وطنية وقومية يُردّدها التلاميذ برفقة أستاذ الموسيقى مغنياً أو برفقة عود أو أوكورديون، في بعض الحالات، آلات تُثير فضولهم فحسب، وتبقى صناديقَ غريبة الأطوار في ذاكرتهم...

في أحد مشاهد الفيلم، يظهر عضو مجلس الشعب في غرفة أليفة من بيت قروي متمدداً على سجادة لصق الجدار، في قيلولة الظهيرة، تحت صورة ورقيّة للأسد الراحل بالأسود والأبيض ملصقة على الجدار. بهذه الصيغة فرض البعثُ القيلولة والنوم والأعراس والمآتم والحفلات والأعياد وكل أنشطة الحياة على شعبٍ-في معظمه- صدّقهُ نبياً وقَبِلَ بأسدٍ إلهاً.

بعد استئصال البعث، سيبدأ آذار، كما كان يحلم أميرلاي، بولادة الربيع كما العادة، لكن سيمرّ هذه المرة بعيد المرأة وحدها، وبذكرى ثورة شعب أثخنَ التاريخ بجراحه، وذكرى أول صرخة "حرية" و.. وعيد النوروز، وذكريات أخرى مُفرحة ومؤلمة، وأيام شاغرة بينهم، وسينتهي بتوافدِ الأزهار إلى قبور آلاف ممن يرقدون بثيابهم المُغبرّة يُمعنون، من بين الذرات الرطبة، النظرَ في وجوهنا وأيدينا؛ نحن من بقينا شهوداً على حرية تبادلت المكان مع أسمائهم، فصعدت فوق التراب.

* * *

أكد اليوم حزب البعث العربي الإشتراكي بمناسبة الذكرى الخمسين على استلامه للسلطة أن سوريا أكثر تمسكاً بمبادئ الثورة والحزب. حزبٌ استلم السلطة فلم يعتقها، لأن دستوره لا يسمح له بالتنحي، فمكث وطال به المكوث.

استطراداً على سبيل الذكر لا الحصر في عهد الحزب المديد، استولت الجرائد الرسمية الثلاث على ساحة الصحافة بالكامل، في خطوة أولى مُنهجة لطرد الثقافة عن صباحات السوريين مقابل "خمس ليرات سورية فقط لا غير". انحسر حضور المجلات والأفلام والمسرح وباقي الفنون، فمُنع بعضها وحُوصر أو استقام بعضها الآخر طاعةً لمقصات هيئة الرقابة ومصالح الحزب. أوقفتْ الصحف العربية على الحدود مراراً، إما لتُتلفَ لاحقاً في مستودعات المعابر أو لتدخل خفيفةً الوزن يقفزُ فيها رقم الصفحة من 10 إلى 15، باعتباره خطأً مطبعياً بحق الدولة البعثية. أُحدِثَ اتحاد الكتاب العرب في سورية عام 1966، ليبقى إلى اليوم وجهاً ثقافياً ميتاً للحزب الحاكم، لم يُحصّل خلال عشر سنوات اشتراكات المُؤلف رفعت الأسد المالية المتراكمة، فقرّر في نهاية 2012 فصله من عضوية الاتحاد "طِبقاً للنظام الداخلي"!.....

اشتراكات، نهب، استغلال، سطو واستيلاء، تعصب، إقصاء، حزب حاكم وحيد.... البعث.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (51895)

دمشق: 3850
ريف دمشق: 11450
حمص: 8421
درعا: 4518
إدلب: 6365
حلب: 8031
دير الزور: 3481
الرقة: 526
السويداء: 42
حماة: 3873
اللاذقية: 721
طرطوس: 76
الحسكة: 287
القنيطرة: 139

3804 عدد الأطفال الذكور
1674 عدد الأطفال الإناث
3446 عدد الإناث
10002 عدد العسكريين
41893 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 9 / 3 / 2013
http://vdc-sy.org